
6 me Année, No. 265

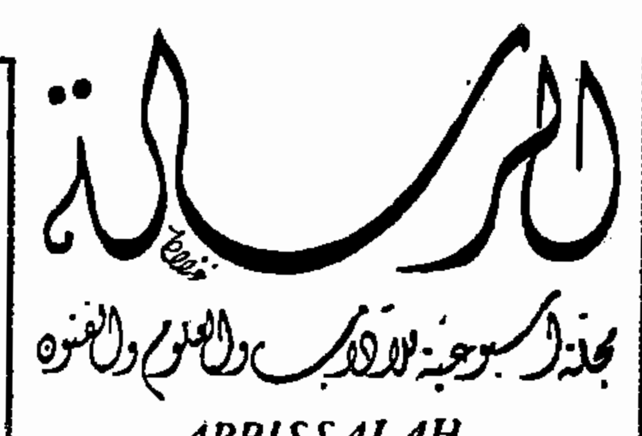
Lundi - 1 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة السادسة «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — أول أغسطس سنة ١٩٣٨» العـــدد ٢٦٥

يالله لفلسطين !

يا لله لفلسطين مشرق الهدى والسلام ، ومهبط الوحى والإلهام ، ومجتلَى عين موسى ، ومسرح قلب عيسى ، ومسرى روح محمد، وقدس الأديان الثلاثة، وقبلة الإسلام الأولى ، ومهد الأنبياء ، ومقبرة الرسل، ومعبد الشرق والغرب ، ومجرى العسل واللبن !!

يا لله لفلسطين ! ماذا فعلت بها الأحداث وجرّت عليها المطامع ؟ أبعد أن رفع الإسلام عنها آصار العبودية وأوزار اليهودية تعود بها المقادير السود إلى استعمار (طيطوس) القاهر ، واستثمار (يهوذا) الجشع، فيعود إليها الفساد والفوضى والقهر والفقر والموت ؟!

أبعد أن استخلصها للعروبة (عمرو الداهية) من (أرطبون) ، وسجل استقلالها العالمى (صلاح الدين) على ناصية (جودفروا) يستبيح ذمارها طرائد البشرية وفى صدورهم تِرات الأمم وحزازات القرون، فينزلونها نزول الوباء ، ويحلونها حلول الفتنة، ويمتصونها امتصاص العلق ؟!

لقد قال المسيح لذلك اليهودي الذى منعه ظل جداره وهو مجهود ، وقرى داره وهو جائع :

الفهـــرس

« ستظل تائهاً فى الأرض حتى أعود ... »

فهل عاد المسيح فى ثوب (بلفور) أم كذبت نبوءة « السيد » ؟ إن لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى إسرائيل، فهو لايثبت له قدم فى أرض، ولا تطمئن له نفس فى وطن ؛ وكان من أثر ضلاله البعيد فى الآفاق أن اكتسب خلائق النَّوَر : فهو يلصُّ ليعيش ، ويخدع ليغلب ، ويستوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع ، حتى انقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع، فأصبح خَلْقاً آخر لا يألف ولا يؤلف . فمحاولة إسكانه مع غير أهله وفى غير أرضه تكذيب لكلمة الله وتزوير على قانون الطبيعة !

* * *

ليس بصددى اليوم أن أفند هذه السياسة المريضة فحسبها منطق الحوادث وأدلة الواقع ؛ إنما أريد بهذه الكلمة أن أصور فلسطين العربية بين بحر يرشُّها باليهود والحرب ، وقفر يحصبُها بالمرض والجدب ، وأخواتها فى العروبة وفى الاسلام مطمئنات على ضفاف الأنهر النضاحة بالنعيم ، وعلى رياض السهول الفواحة بالنعمة، ينظرن إليها نظر الغرير الأبله وهى تمشى فى النار، وتخوض فى الدم ، وتطلب القوت فلا تجده، وتنشد الأمن فلا تناله . أريد أن أصور حال هؤلاء الكماة الأباة الذين يناديهم الفزع ، ويراوحهم الموت، وهم يدافعون عن حقهم فى الحياة، ويناضلون عن مرقدهم من الأرض، ويقولون للواغل الثقيل وللحامى الدخيل : إنها موتة لا مناص منها . ولأنْ تُنثر أشلاؤنا على أديم الوطن ، وتقبر أجسادنا فى ثرى الأجداد ، أحب إلينا من أن نعيش عيش اليهود شرداء فى كل طريق ، طرداء فى كل بلد !

لقد شن يهود الأرض على عرب فلسطين الحربَ فى صراحة ووقاحة ؛ وأعلنوا الجهاد الدينى والقومى بالتطوع والتبرع ، وسلحوا ذؤبانهم بالمنايا والمنى ، ودفعوهم فى وجه الحق والعدل والشرف ومن ورائهم مصارف اليهود تمدهم بالذهب ، ومصانع الانكليز تمدهم بالحديد ؛ فانطلقوا يخرّبون المدن ، ويحرّقون الحقول ، ويقطعون السبل ، ويحصرون المؤمنين الآمنين فى أجواف الدور، وفى شعاف الجبال، لا يجدون منصرَفاً إلى الزرع ، ولاسبيلا إلى القوت. وقد شغلهم الدفاع المقدس عن الحمى والنفس عمن وراءهم من الشيوخ والأطفال والنسوة ، فتركوهم يتضاغون من الجوع، ويرتعدون من الخوف، ويكابدون بُرَحاء الهموم على وطن يستبيحه الغريب، وشعب يتخطفه الموت ، وحق يتحيفه الباطل، ومستقبل يتكنفه الظلام ، وحال من البؤس تقطع الرجاء وتوهى الجَلَد لولا إيمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم

فلسطين العربية كلها اليوم بين منفى يلوذ بكنف الأعداء، وضعيف يتلهى بالدعاء والبكاء ، ومدافع يقتات بالعشب ويعتصم بالصحراء؛ وليس للمنفى شفيع إلا الأمل، ولا للضعيف عائل إلا الصبر ، ولا للمدافع منجد إلا الايمان .

أما إخوان النسب وإخوان العقيدة فكأنهم لا يملكون لمأساة فلسطين الدامية إلا عزاء المجامل ، ورثاء الشاعر ، ودعاء العاجز ، وبكاء المرأة .

أيها المسلمون ! إذا ذهبت عصبية الجنس فهل تذهب نخوة الرجولة ؟ وإذا ضعفت حمية الدين فهل تضعف مروءة الانسان؟ إنا لانقول لكم تطوعوا، ولكنا نقول تبرعوا . وليس فى التبرع للجريح بالدواء ، وللجائع بالغذاء، نقض لمعاهدة ولا غدر بصداقة. وأقل ما يجب للقريب على القريب، وللجار على الجار، يدٌ تواسى فى الشدة ، وقلب يخفق فى المصيبة ، ولسان يحتج فى المظلمة . فهل يزكو بعربيتكم والجود غريزة فى كيانها ، وبإسلاميتكم والمواساة ركن من أركانها ، أن تقفوا من فلسطين موقف الخلى المتفرج ، يسمع الأنين فلا يعوج ، ويبصر الدمع فلا يكترث ؟

إن فلسطين تقاتل للحياة لا المجد ، وتناضل عن القوت لا عن العزة ؛ وخليق بمن يدفع عن نفسه أن يُعان ، وبمن يذود عن رزقه أن يُعذر

إن فلسطين من البلاد العربية بمكان القلب ، ومن الأمم الإسلامية بموضع الإحساس ؛ وسيعلم الغافلون أن محنتها سبيل المسلمين إلى التعاطف، وصرختها نداء العرب إلى الوحدة ...

أحمد حسن الزيات

سخرية الأقدار

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كنت في يوم من الأيام جالساً إلى مكتبي أترقب أن يحمل إليّ ساعي البريد « حوالة » مالية . وكنت عاكفاً على الكتابة ولكني كنت أحصى الأبواب والوجوه التي أنفق فيها المبلغ المرتقب . وللذهن قدرة على الاشتغال بأكثر من موضوع واحد في لحظة واحدة . فبينما كنت أجرى القلم بوصف ما تعانى فلسطين ، وأعرب عما جاشت به نفسي من العواطف من جراء هـذه القنابل التي تلقى على باب المسجد الأقصى وفي الأسواق العامرة الغاصـة ، فتقتل النساء والأطفال والرجال، وتطير أشلاء الانسان والحيوان وتخلطها بالخضر والفاكهة ، واللحم والسمن والعسل ، والأنقاض التي تهاوت ، والقُـفف التي تبعثر مافيها؛ وأقول إني أعرف حكومة فلسطين نسفت بيوتاً عدة للعرب ، وفرضت غرامات متفاوتة على قرامهم الفقيرة ، ولا أعرفها هدمت بيت يهودي واحد ، أو غرّمت حياً من أحيائهم أو مستعمرة من مستعمراتهم — أقول بينما كان القلم يسحّ بهذا كنت أتخيل الثياب الجديدة التي سأشتريها ، والأثاث الحديث الذي أحب أن يحل محل القديم في بيتي ، والسيارة الجديدة التي سأستبدلها بسيارتي وإن كان عمرها عاماً ، وأسأل نفسي هل أستشير المرأة الصالحة التي لا تعترض لي طريقاً ، ولا تأخذ عليّ مُتوَجَّهاً ، ولا تنكر من فعلى أو قولى شيئاً ، ولا أراها في أى حال إلا راضية ، ولا أعرف أن غيرها في هذه الدنيا يمكن أن يطيقني ويحتمل عبثي وسخافاتي وحماقاتي ؟

في هذا كله أيضاً كان تفكيري . وكنت أتصور الألوان والشيات والأشكال، وأحاور نفسي وأجادلها، وأتلق الاعتراضات وأردها ، والقلم مع ذلك لا يتوقف ولا يكف عن المضى ، وجاءنى الخادم بإيصال رسالة بريدية مسجلة لأوقعها ، فاستبشرت وقلت : « الحمد لله جاءنا الخير المرتقب ... خذ يا شاطر فتح الله عليك ، ولك ... (ومددت له يدى بالايصال) وأسرع ... عجل ، ولك الحلاوة »

وخرج الخادم ، وهو يبتسم ، وراح هو أيضاً ولا شك يتخيل ما سينعم به في يومه السعيد « بعد أن أعطيته الحلاوة » الموعودة . ومضيت أنا في الكتابة ، مغتبطاً ، وإن كان القلم يقطر بالنقمة على رءوس المستعمرين ، ورأيتني أدندن ، وأنا أجرى القلم ، ولم لا ؟ ألست مسروراً منشرح الصدر ، ولا نكران أني كنت ساخطاً ناقماً ، ومغيظاً محنقاً ، وثائراً فائراً ، ولكن هذا جانب ، وذاك جانب ، فأنا — في الجانب المشرق الوضاء من نفسي — أشعر بالاغتباط والمرح ، فأدندن ، ولكن هناك جانباً آخر حالك السواد لا يضيئه إلا ما يتهاوى فيه من صواعق الغضب، والجانبان لا يختلطان ، ولا يتداخلان ، ولا يعدو واحد منهما على صاحبه ؛ فالسواد هنا لا يعصف بالبشر التألق ، والسرور هناك لا يمتد نوره إلى الظلمة الطاخية ...

وعاد الغلام الخفيف الحالم بالحلاوة ، ودفع إليّ الرسالة المسجلة فنظرت إليها وأنا أتناولها منه ، وعرفت ممن جاءتني قبل أن أفض غلافها . ولم يكن هذا لأني ذكي ألمى أرى بأول الظن آخر الأمر من وراء الغيب ، بل لأن الاسم مطبوع على الظرف

وابتسمت وأنا آخذ الرسالة ، وأضعها على المكتب كما هي ، وأنقدت الغلام المسكين قرشين ، وأكببت على الورق أكتب .. وماذا عسى أن أصنع غير ذلك ؟ لم تجيء الحوالة المالية المرتقبة ، ولا ضير من هذا ، فما كانت بي حاجة ملحة إليها ، وهي خير إذا جاء فأنعم به وأكرم ، وإذا لم يجيء فلا بأس ، وستجيء على كل حال غداً إذا لم تجيء اليوم أو بعـد شهر أو أكثر ، ولو اقتصر الأمر على حرمان ما تممت نصف ساعة بتخيله لهان ، ولكن المضحك ....نعم المضحك ... أن يجيئني بالبريد المسجل في هذه اللحظة على الخصوص إنذار من محام بتنفيذ حكم صـدر خطأ في غيابي ، وعندى المستندات التي تثبت أني أبرأت ذمتي ، ولكني لسوء حظى مهمل وشديد النسيان، فلست أذكر أين وضعت هـذه الأوراق ، وقد كلفني هذا النسيان مالا يعلمه إلا الله ، وبدا لى — لسذاجتى — أن من السهل أن أقنع الخصم بمراجعة أوراقه وحسابه ليتبين أني أديت إليه حقه . وخطر لى أن هـذا أسهل من عثورى أنا على مستنداتي التي لا أدري ماذا صنع بها الاهمال ، وكان الخصم يضحك مني ويقول للحاضرين « اسمعوا ... هذا جديد ... يريد مني أن أقدم أنا له ما يثبت براءة ذمته ! ! فلماذا لا يعد هو مستنداته ؟ » فأقول له محتجاً « يا أخى إن المسألة ليست مسألة خصومة وعناد، وإنما هي مسألة ذمة وحق ، وعندك دفاتر مسجلة تقيد فيها مالك وما عليك

وأوراق لا أدرى أين هى ، والبحث عنها يضيع وقتى ، ويطير عقلى ، ولا صبر لى على هذا على كل حال ؛ ولأهون على أن أؤدى إليك المال مرة أخرى من أن أنفق عمرى وأطير صوابى فى البحث عن هـذه الأوراق ، فلماذا لا تؤثر العدل والحق فتعاونني ؟ إنك ناس، والموكل بهذا الحساب قد ترك عمله عندك، والمراجعة لا تجشمك عناء، فر واحداً من عمالك أن يقوم بها »

وقد ضاعت سنتان من عمرى وعمره فى هذه المراجعة التى لم تخل من بعض الفائدة ، فقد اهتدينا إلى مبالغ ثبت أنى أديتها فتزعزعت ثقته بماله الذى أكد له أني ما زلت مديناً، ولكن دفاتره كانت على حال من الفوضى كالتى عليها أوراق فى بيتى . ويظهر أنه سئم أو تبلد فلم يعد وخز الضمير يؤلمه أو يزعجه ، فقال أنفذ الحكم عليه بما لم نجد دليلاً على أدائه وأريح نفسى ، وعليه هو — لا علىّ أنا — أن يبرىء نفسه بإبراز ما عنده !

وهكذا تلقيت إنذاره

وأتممت المقال ثم فضضت الظرف وقرأت ما فى الكتاب وضحكت . لقد كنت أنتظر فرجاً أوسع به على نفسى ، فإذا بى أطالب بأداء دين مرة ثانية !! فاذا أصنع ؟ قلت لنفسى — وكان اليوم الخميس—هذا موقف ممتع . وخير ما أصنع هو أن أركب سيارتى وأستصحب بعض الرفاق ، ونمضى جميعاً إلى الاسكندرية فنقضى على ساحل البحر أياماً وليالى ننسى فيها سخرية الأقدار وتهكم الأيام ...

وقد كان . ثمنا إلى الأسكندرية قبل الغروب بساعة ، فلقينا فى رحلتنا ما هـو أعجب وأغرب ممـا سأقصه على القراء فى المقال التالى

ابرهيم عبد القادر المازنى

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتاب
الإسلام الصحيح
من : مكتبة الوفد ، شارع الفلكى (باب اللوق)
ومن : المكتبات العربية الشهيرة

صحيفة وصف وأحلام

النـــادى

للأستاذ حسن القاياتى

بكَرتُ إلى ضاحية نضرة موّنقة ألفت أن أزور نادياً فيها يتألقنى بشفوف حسنه الصامت ، ويقر بعينى أن أبادله أنفاسى الحرار يبرد نسيمه الذى يأذن له فيتلب بغلائل زائراته من الثانيات بأرفق من تلعب العيون بالقلوب ، ويطيب لى أن أشهد سكونه المعجب لا يحس فيه غير نبض الجوانح بالحب ، أو مُرى العيون بنظرة مدلهة

كم خلوت فى هذا النادى بنجوى الأمانىّ الحسان كأنما أتناولها من رقعته النضرة النضة ، وللأمانىّ فى الجو الطلق رفيف كرفيف نسمته يَنْدَى على الكبد

أمانىُّ من ليلى حسان كأنما سقتنابهـا ليلى على ظمأ بَرْدا
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المُنَى وإلاَّ فقد عشنا بها زمناً رغـداً

المتنزه أو النادى جنة معطار بالنسيم ، يتيامن قليلا عن الطريق الشارع حيث المدينة ، ويتياسر شيئاً عن المزرعة حيث الريف ، فهو بينهما قائم يشرف على رقعة نضرة ، كأنه الحد بين مصنوع الحسن ومطبوعه ، وتلك من أكبر ما يغرينى به ، فقد طبعت على خلال من حب الوحدة إلى غاية من التبرُّم

أما النادى فى صورته فبناء مؤلف من طبقتيه السفلى والعليا، بيد أن عليا الطبقتين خلاء من كل ناحية ، سقف على عمد، هل رأيت مظلة فى يد ؟

تشافهه ذكاء شارقة غاربة ، فتطالعه فى مشرقها بوجه وضاح متهلل يعيره فى المشتى أنفاساً حرارا كأنفاس الصبابة ، وصفرة فى أصائل المصيف كصفرة المحب ، فاترة اللمح والحرارة ، فناهيك من مصيف ومشتى

الخضرة حول المتنزه سائدة ، ربما أربق عليها عسجد الشمس فهي بساط رائع ، كأنما التقت عليه الخضرة والصفرة فى سدى ولُحمة ، تؤلف نقوشه من زهرات ترفات لم أر أملح من الفراش

يتنقل عليهن تنقل النظر فى خدود الأوانس المتوردات

وقد استدارت حوله شجرات قديمات قامت هنا لك عطلاً من الثمر والنَّور ، كأنها نصفات(١) من الغيد ودعن عهد الشبيبة والدلّ ، فهن سليبات من الحلى وإن كن لا يعدمن مسحة من الحسن. على أن تلك الشجرات ربما أجنت عصفورا ليقا بالصفير يخرج رأسه فى الفينات من حفافي ورق نضر كما تطل متنية من شباك فيضرب الفنن مرات بجانبي منقاره كما تمسح القلم مرات يمنة ويسرة ، أو كما يصلح المغنى عوده ، ثم يتكلم المضفور بصوت ساحر

وقد يشرف الجالس فيــه على ضروب من الفراش حديثة العهد بماء ضحضاح إذا تمايلت فيه وصفها مترجحة كالراقصات أمام المرآة ، ذلك حسن منثور فيه ، أينما تلفت رأيته كالحيا الفاتن تجيل طرفك فيه بين فنون من الروعة ، فتنقله من خد إلى جيد ، ومن طرف إلى خد

تلك حلية النادى فى يومه الساحر الوضاح ، أما هو فى ليله فذلك الحسن كله والسحر ، يقبل عليه الليل بقطعانه الجهمات فتتشابه سماؤه وأرضه : السماء روض زهراته الكواكب، والروض سماء كواكبه الزهرات ، وتأخذ لألاء الكواكب بالبصر حتى يحسبها الناظر شقوقاً فى ثوب الليل ، فيرده عن وهمه أن ثوب الليل قشيب ، وأنه بعدُ فى مقتبل. أما القمر فى ليالى القمر ، فإن له على تلك الساحة طغياناً ساحراً كما تدفق النهر فى الحـديقة ؛ وطالما رف بلبل فى جوه فرجع ترجيعات مليحات آنقت الأسماع حتى ما يمارى أحد فى أن تغريد الطيور من ألحان الطبيعة ، وإن كان لا يحسن أن يقول : من أية نغمة هو ، وإن تعرّف حسنه بما أودعه النفس من حرارة الشغف

إن الناظر ليجيل طرفه فيرى على مدى بصره القطار الأبيض فى جيئته وذهوبه يتدفع بين تلك الأنحاء السندسية ، فيحسبه قناة ماء مسجور يتدفق بين الرياض ، ويخيل إليه أن زمجرته هدير القناة ، أو يحسبه وهو يعرق ليلاً فى غشاء من ضوئه نيزكاً سابحاً يجرر ذيلاً من النور

أجل ؛ إن الحياة المرة النكداء أبخل من أن تخلى منظراً طريفاً كمنظر هــذا النادى من منظر قاس مرّ يشق على النفس والبصر . هذه مقبرة قديمة جثمت على قيد خطوات من النادى البديع إذا تلفت الجالس تمرّ بها طرفه وشجته كما يشرق الشارب بالماء العذب ، هذه المأساة بذلك الجذل سنة الحياة

ألفت غشيان هذا النادى فى الأصايل وليلات القمر أسراب من غانيات الأسر فيهن المصرية والغربيــة ، تغرب الشمس فيشرقن فيه يتفرجن من يوميات البيت الجاهدة، ويستسلمن إلى سمر حار ممتع يرسل نفوسهن على السجية ؛ وتارة هو ملتقى صفيين يخلوان إلى نجوى الشوق فى غفلة من الوشاة

إن الوجوه لتتقابل هناك متعارفة مؤتلفة لكثرة ما تلتقى فيه ، حتى لقد ترى بين زائريه حدود الآداب فيعرف أحدهم جليسه كرسيه ومجلسه ، وكأنما أجد لهم طول الإلف ضرباً من التفاهم يلفهم فيه أسرة واحدة يرمون المحدث فيهم بالنظر الشزر. أنا جالس فى نديّنا الساعة حيث أكتب هذا ، والدولة قليل ، وقد نبض سلك الثريات بالنور فأضاءت ، وحوالى خفرات من الأوانس محجبات وسوافر يبسمن لدوبهن فيذبن الأسى ، تحالل الظلمة تحت الثريات ، ويفاوحن الروض بعرف زكي كأنما يرود لهن القلوب ، والعَرف من بريد الحب

شدّ ما يسترسل الأوانس هناك فى تبذل ومجانة يتجاوزن بهما حد الرشاقة والدل إلى الخلاعة ، كأنهن حين شهدن تبرج الطبيعة تشهّين أن يسايرن حسنها السافر فساقطن عن حر الوجوه براقع شفافة كأنها أغشية البلور ، وأخذن فى مرح بحت يمثلن فيه الرشاقة والدل

تلك التى انتبذت ناحية طفلة ناهدٌ فى سنّ البدر وحسنه ، أحسبها تفلتت الساعة من المدرسة لما يلوح عليها من غرة بالتلفف

جلست الفتاة تنتظر خديناً لها فهى تتلفت متململة تلفُّت الطائر على الغدير ، حتى أقبل طلقاً وضاح الأسارير فسلم ثم عدل بها إلى مكان يجور عن مساقط النور ومواقع النظرات ، ألف العشاق أن ينزلوه، يسرهم أن يجمعوا بين كل ظلمته وبين العيون فما ينيره غير جبين وضاح

جلسا معاً هناك ، وجه إلى وجه ، وساق على ساق ، فى أمن من سرى الأبصار والظنون :

أقول وجنح الدجى مُلْبِدٌ   والليـل فى كل فج يدٌ !!

(١) المرأة النصف المتوسطة فى السن

ونحن نجيبان فى مجسد فلله ما ضمن الجسد !
أيا ليلة الوصل لا تنفدى كما ليلة الهجر لا تنفد
ويا غد إن كنت بى راحماً فلا تدن من ليلتى يا غد

يتناجيان حينا بحرّ الصبابة فيضرّج الحياء خدها الرقيق :

راض بحكمك فاعدلى أو جورى ولك المكانة فاهجرى أو زورى
ناجيت فانثنى فأشرق خدها بالحسن وقع النور فى البلور !

وربما سكتا عن حديث البشاشة فتكلمت العيون !

متحابان غاب عن يومهما العذل فدعهما حيث شاء لهما الحب ونجواه

وتلك عقيلة نصف على أنها مستتمة الملاحة لبقة بالتزل والتصبى ، ذات وليد مرضع تحمله وصيفة زنجية متلففة . أقبلت العقيلة تمشى إلى رجل رزين الجلسة هو قرينها فيما يخيل إلى ناظره ، أفنى هزيعاً من الليل فى توقعها ، فالآن حيث أقبلت تخطر حتى جلست إليه فى غير تحية ولا كلفة . وإنى لأشهدها الساعة تتململ حائرة النفس ، وتتخبط برجلها تخبط الظبى فى حبالته لترى الجلوس ساقها الضخمة الملتفة كأنها لفائف البلور، وتسارق جاراً لهم النظرات تنتحل لها العلات حذراً من يتقظ الريبة فى نفس القرين ، وتكثر أن تكشف جيب الثوب عن ناهد رخص مستدير تعلل به الوليد ، وجل ما تعتمده أن ترى النظارة وبخاصة ذلك الجار أنها تحمل غض الرمان :

بنفسى من لو مرّ برد بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

وهذه فتاة أخرى تتردد بين الصبيحة والسميمة ، على نصيب من رشاقة الدل واللباقة، ولكنها طياشة لايحتويها مكان، تترق فى هذر وضحكات خليعة تستثير بهما هوى الجالسين كما يطارد الصائد الظبى إلى الحبالة فاذا هو أخيذ :

فرقت إلى رجل فروق من ضحكة آخرها شهيق

تجربات عدة صادقة أفدت منها أن العفاف لون من ألوان المرأة لا جوهر ، وأن المرأة لا يسلم لها شرفها الرفيع كائنة من كانت إلا محرزة مكنونة ، أو يراق على جوانبه الدم ، وأنها إذا استشرفت الريبة استبيحت فلم تعتصم

ذلك رأيى فى المرأة جد سديد ، وإلا فما هذه النظرات الخائنة التى تخترق الصدور إلى الأفئدة ؟ والتفلت من كل عقد اجتماعى أدبى ؟

إن المرأة لتحسب أن من وحى الفطرة الزهادة فى الأليف الفرد ، وذهاب الحسن طلقاً مع الهوى كأنما تخشى عطلة التزل ، وتنفس بالحسن على التملك فيما يقول الاعرابى النزِر

يقولون: تزوج وأشهد أنما هو البيع إلا أن من شاء يكذب

وكأنما تقول :

إن المرأة مخلوقة من جو هذا الكون ونسيمه ، فأخلق بها أن تروح فى حرية ذلك الجو الطلق

يعز على أن يكون رأيى فى المرأة هذا الحكم الجافى ؛ ولو آثرت العاطفة دون العدل لم يكن أحد آثر من المرأة بالترفق

إن اليد التى تصرف القلم بالعاطفة لا تحسن إلا حمل الدف أو العود

هذا كله وأكثر منه فى طبقة النادى العليا ، أما طبقته السفلى فان لها شأناً غير تلك نصفه على أنه أعف وأنزه . هذا قس رزين متزن من القساوسة خلفاء المسيح صلوات الله عليه ، يحمله إلى النادى مركب سرى ، وله ضيعة فخمة، كل مايلوح عليه من سمات الدين لحيته وطيلسانه ، ومسبحة يديرها آونة ، لا يكاد يساجل جليسه إلا حديث الضيعة وقصر يبتنيه ؛ ولكنه غر كريم بكل ما يشهده حوله من هذه الحياة الماجنة ، يصف الهداية كما تصفك المرآة ، وكأنه فى هذا النادى المستهتر بقية الهدى فى فؤاد المفتون!

حبيب إلى نفوسنا أن يتنزل رجال الدين من علياء مجدهم وتدينهم إلى حيث الطبقة المتحضرة اغتباطاً بدنوّ الدين المصلح الرشيد من المدنية الفاتنة المسترسلة ، وأنى يكون ذلك ؟

تريدين كيما تجمعينى ومالكاً وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد ؟!

وذلك روى يجلس على مقربة منى لا ينفك فمه يختلج بهمس تتحرك له شفتاه كأنه ممرور أو موسوس ، وكأنما يعد شيئاً يعقد له أنامله . وماذا عسى يعد هذا النكود إلا أيام عشيق هاجر كأنه يتبرم بالحب ؟ وهل لأحد على حبه خيار ؟ ذلك طماح شديد

دعى عد الذنوب إذا التقينا تعالى لا أعدّ ولا تعدّى

أما تلك الفتاة العروب الشرهة النظرات التى تتصدر فى حفل لها فيه عشيق ، فقد ألبس علينا أمرها ، أمستباحة هى أم حصان

مخبأة ؟ فإنا في هدأة من ليل ساج يكاد أحدنا يحبس فيه نبضه خشية أن يقطع سكونه ، ويترفق بالنفس خيفة أن يضرمه بحرقته، إذ خلصت إلينا مع النسيم نغمة فاتنة ساحرة ، يحملها حمل النفحة مجهولة المهب ، على أنها حلوة الخطرة تمسك الحشاشة :

يا ساقييّ أخمر في كؤوسكما أم في كؤوسكما هم وتسهيد ؟
أصخرة أنا ؟ مالى لا تحركنى هذى المدام ولا تلك الأغاريد ؟
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أنى بما أنا باكٍ منه محسود

واطربا لك أيها الشادى ! وحر قلبي عليك ! لقد أحسنت وأدميت . من أنت جعلت فداك ؟ ومن أية النواحى مَسْرَى الصوت ؟

تلفتت العيون بعد أن تلفتت القلوب تطلب مندي الصوت فاذا فتاتنا اللعوب هي التي ترسله حاراً كزفرة المحب ، وإذا هي مطروبة نابهة من المعروفات كأنما تناست مجلسها من الحفل وخيل إليها المرح أنها جالسة بين زملائها على « التخت » فانفرجت شفتاها بتلك الأغنية ثم بدا لها أن تتقى الحياء فأمسكت ولم تبرح إلا مكرمة مفداة

بينا نصغى بأسماعنا إلى غناء الآنسة الأخاذ دخل إلى النادى رجل عسكرى عظيم في « رتبة اللواء » ألف طروقه يتحدث فيه إلى أستاذ مدرس من المعممين فيزأران بالحديث حتى يستحيل النادى بصوتهما كلية الفنون أو معترك حرب ، يزخر مرة بالبحث والتحليل ، ويفهق أخرى بالصليل

يلقى المنية فى أمثال عدتها كالسيل يقذف جلموداً بجلمود !

ولمهدى لهذا الصوت الصاخب ينشد شعراً مرة ، فليت شعرى من راض ذلك الطبع العصىّ على رقة الأدب ، وتناشد الأشعار ؟ أجل ، إن الراضة يأخذون الليث المصور بالرياضة والتأنيس حتى يصبح أنيساً طيباً . هذا كلب صاحب النادى قد شهدت من يلقى له قطعات السكر فيأ كلها التهاماً ، فلما سمعت الشعر يتضمنه العسكرى العظيم ، قلت : ما أشبه الشعر في فم الرجل الجافى الخشن بالسكر في فم الكلب الشره ! وإن من الشعر لحكمة :

وهذا الروي صاحب النادى يأبي كل الأباء أن يمد النرد للاعبين في الطبقة العليا من ناديه إغلاءً بهدوء الزائرين، أفلا تكون

الضابط العظيم شمائل ذلك الروى الجافى فيعفينا بل يعفى زائراته الرقيقات من الصخب ، كما أعفانا صاحبه من « النرد » بل ليت لنا من يقول له : رفقاً أيها الأسد بالظبيات أو القوارير

ليس فيما يقطع السكوت فى الخلوات أشهى إلى المستريض البعد مسه السغب من نداء الباعة على الطعام الشهى اللذ، والطعام كله على تلك الحالة لذ شيهى ، بل هو أهنأ الطعام وأمرؤه ، وإن فيمن يضمه نادينا الحفيل رجالاً لهم شارة تشهد بنضارة ونعمة . ذلك السيد السرى التصدر واحد منهم ، لا تبرح تحت طاعته سيارة وسائق فاره ، وهو إذا عاد إلى مثواه عائد لا محالة إلى قصر مشيد وخدم ، وبَديه إن له طاهياً محسناً لا يصنع طعامه المعجب فحسب ، بل يصنع معه الشهية لآكله . وها هو بحيث أراه مكب على قطعتى جبن وخبز ينحى عليهما بأنيابه إنحاء الجائع القرور !

لقد سوت السغبة وزوج ساعة عن المدينة بين السيد الشريف والبائس الذى يتبلغ بالخبز القفار. وتلك حسنة للخلوات تقرب بين الطبقات بالتسوية فتتركهم سواسية كما هم في رأي الفطرة ، سيان الشريف والدون . معدلة من الطبيعة ونصفة؛ على حين تقضى سنة المجتمع ونظمه بتفرقة جارمة

خلسنا في النادى تحت كرمة عنب فينانة تظل ناحية منه ، وتتدلى علينا بأوعية المدام أو المناقيد كأنها ثريات النور

تحملن أوعية المدام كأنما يحملنها بأكارع النغران (٢)

أذكرتنى الكرمة بالراح ، وإن كنت لا أشربها والحمد لله الذى يحمد على المحبوب والمكروه ، كما تذكر النتيجة بالمقدمات ، فذكرت كذلك أن النادى معطش منها ، تعطل فيه الأكواب، وأن صاحبه الخبيث يتحرق لهفة لأنه استجدى الاذن ممن يملكه بأن يديرها فيه فلم يتم له بحمد الله . وخيل إلى أننى تعرفت من وقوع الطير على المناقيد ونقره حبات العنب ، لأية علة كانت عربدة العصافير والتغريد . ولو أتيح للخمار الداهية أن تحتث عنده كؤوس الشراب لروعنا بعربدة العيون الساحرة النشوى ، فصرنا إلى ناد طروب تعربد سماؤه وأرضه وتغرد طيوره وغيده !

لا تسقنيه فانى أيها الساقى أخاف يوم التفاف الساق بالساق
إن الشراب تهيج الشر نشوته فبز الشر منه واسقنى الباقى

(٢) النغران . جمع نغر ، طائر صغير من فصيلة البلابل

قضيت من الرياضة كل حاجة ، وتزودت لزنق من النسيم العليل ، فتشهيت المودة وأخذت سمتى إلى بيتنا الصغير ؛ فإنى لجالس فيه صبيحة تلك الليلة جلسة المتعب المكدود أتمثل ما مر بى بالأمس، إذ دخل علينا آنستان فاتنتان كأنهما صورة الحسن ، فلما سمعتهما تسألان عنى قلت : لبيكما ، أنا ذاك . فأقبلتا فجلستا في تخفر واستحياء متصنعين ؛ بيد أنهما تخبآن السحر فى العيون ثم تحدثتا إلى بأنهما أقبلتا من مدرسة فلان فى طلب المسعدة ليتامى قسمها المجانى ويتاماه — فيما زعمتا — ودفعتا إلى بصحيفة أعدتاها للمتبرعين يثبتون فيها الأعطيات ، ثم التوقيعات ، فتسمحت نفسى بقليل نذر يتذمم الجواد الفضل منه ، ثم وقعت فى الصحيفة « صانع خير ! » ومن يبخل عند الأوانس؟ فانصرفتا فى امتنان وحمد . ويعين لاماهر ولاحانث ، ما أعرف أصانع خير أنا أم صانع شر ؟ ولكنى أعرف أن هذه أساليب هذا العصر ، أو هذا البلد ، وطرازه الطريف فى الاستجداء الكاذب المخزى لمعونة العلم والبر ، وأين العلم والبر ؟

في النـاس من يقتنى نفعاً بجُندية
كما جرت قبلة « فى سوق إحسان »

واحر قلباه ! حتى البيوت فيها أوانس المجتمعات العابثات؟

لمحة دالة من صفة نادينا الذى يتألفنا بجماله ، وهو على ما فيه من هنات إنما يصف المجتمع ونفسياته ، كما تصفه كل منتدياتنا ، وخلف ما ذكر ما لم يذكر استحياء من الأدب والفضيلة

إن الأندية مرآة صقيلة للشعب تصفه على ما هو عليه من دمامة فى صورته الخلقية أو وسامة

« السكرية — دار القاياتى » حسن القاياتى

حـــواء

... علم على ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع تحمل الرسالة نماذج منه إلى قرائها فى عالم الفن

وحي القمر

قرأتكِ فى الأفق حتى جرت ... سبائكه فى جيوب السحرْ
وحتى تدفقَ من جانبيه ... ضبابٌ على الأرض غطى الشجر
وأوقدَ فى ذرواتِ الغصون ... قناديلَ يزلق عنها البصر
تنوعَ فيهن لونُ الحيـــاة ... أفانينَ تحمل شتى الصور
تلمستُ روحكِ فى أفقها ... وروحُكِ فى الأفق وحى القمر
فكانت من الزهر هذا العبير ... ومن ذِروة الغصن ذاك الثمر

فى فم الشاعر

لروحكِ فى مُلتقى خافقيّ ... خيالٌ يُرِفُّهُ عن ناظرى
أراه بعينيّ فى يقظـــتي ... وإن نمتُ أشرق فى خاطرى
تمرُّ به نسمات العشيّ ... على صفحة القمر الحـــائر
وتندى به نسمات الصباح ... فتلقطه فى فم الشـــاعر
وكم صفّقت جنبات الغـدير ... على رقصه فى فم الطائر
خيالكِ مرآة قلبى ، يُطلّ ... على الكون من فمها الساحر
تدور بهـــا فى سماء الخلو ... دِ أرجيةُ الفلكِ الدائر

الحومانى

تحت الطبع :

حيـــاة الرافعى
للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة
ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

في مصر الإسلامية

السيادة المصرية في صدر الإسلام

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان الخراج في الدولة الاسلامية من أهم موارد بيت المال ، فلما فتح العرب مصر وجبا عمرو بن العاص خراجها لم يُرضِ عمر بمقدار الخراج ، وظن في عمرو الظنون ، فأرسل إليه ابن مَسلمة ليقاسمه ماله ، ثم عزله سنة ٢٣ هـ قبيل وفاته بقليل عن ولاية الصعيد وأسندها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح . فلما ولي عثمان الخلافة عزل عمراً وولى ابن أبي سرح مصر كلها ، فكان ذلك سبب الجفاء والعداوة بين عمرو وعثمان حتى قيل إن عمراً أخذ يؤلب الناس على عثمان وعلى سياسته وإن له ضلعاً في مقتله

على أن ابن أبي سرح لم يكد يستقر في ولاية مصر حتى انتقض الرومان وكتب أهل الاسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل امبراطور الروم يصفون له ما هم عليه من الذلة والهوان ويهونون عليه فتح الاسكندرية لقلة من بها من حامية المسلمين ، فأنفذ قسطنطين قائده الأرمني مانويل Manuel إلى الاسكندرية على رأس جيش كثيف فاستولى عليها وأخذ جنده يعيثون في الأرض فساداً حتى وصلوا إلى مدينة نقيوس

ولم يكن قبط مصر يرحبون برجوع بلادهم إلى حوزة الرومان خوف أن يسوموهم الخسف والهوان لما قاموا به من مظاهرة العرب ورضائهم بحكمهم من جهة ، ولما كان بينهم وبين الرومان من الخلاف المذهبي الذي كان مصدر شقائهم ومصائبهم في عهد الرومان من جهة أخرى . فكأن عودة مصر إلى حوزة الروم معناه زوال تلك الراحة والطمأنينة اللتين تمتع بهما المصريون في ظل الحكم الاسلامي

لهذا كتب قبط مصر إلى عثمان يلحون في إسناد حرب الرومان إلى عمرو بن العاص لما أحرزه في حروبه معهم من الخبرة الناشئة عن طول المراس ، ولأنهم أنسوا فيه الدراية والكفاية على رد غارات الأعداء بخلاف ما كانوا يعرفون عن واليهم الجديد ، فولى عثمان عمرا الاسكندرية على أن يتولى حرب الرومان وإخراجهم من مصر

وفي مدينة « نقيوس » دار القتال بين جند عمرو وجند مانويل في البر وفي النهر ، وكثر الترامي بالنشاب حتى وقع فرس عمرو من تحته . ثم طلب المسلمون المبارزة بين فارس منهم وفارس من الرومان فكانت الغلبة لفارس المسلمين فثارت حميتهم وشدوا على العدو وانتصروا عليه وقتلوا قائده ، ثم تعقبوه إلى الاسكندرية وأعملوا السيف في رقابهم . وهنا أمر عمرو بإيقاف رحى الحرب ، وأن يبني في الموضع الذي رفع فيه السيف مسجد أطلق عليه فيما بعد « مسجد الرحمة » وهدم عمرو سور الاسكندرية ، وبهذا ثبتت أقدام العرب[1] في مصر سنة ٢٥ هـ

أقام والي مصر الجديد في الفسطاط يراقب الأمور عن كثب وينتظر ما تلده تلك الحرب الناشبة بين العرب والروم في مصر . ولا شك أن انتصار عمرو ثبت قدم ابن أبي سرح في ولايته[2] . لهذا حذو سلفه في الاصلاح الداخلي وفي الفتوح الخارجية، أما الاصلاح الداخلي فلم يترك له عمرو شيئاً جديداً اللهم إلا ما كان في زيادة الخراج في ولايته حتى بلغ أربعة عشر مليوناً (إن صح أن يسمى هذا إصلاحاً)

أما من ناحية الفتوح الخارجية فإن ابن العاص كان قد أمّن حدود مصر من جهة الغرب بفتح برقة عام ٢١هـ صلحاً ، وبفتح طرابلس سنة ٢٤هـ عنوة . ثم بعث نافع بن القيس الفهري (وكان أخا العاص بن وائل لأمه) إلى بلاد النوبة فقاتله أهلها قتالاً شديداً فانصرفوا ، فلما ولي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية سنة ٢٧هـ وقتل ملكها وغنم المسلمون الغنائم الوفيرة

(١) ممن اتفق على هذه السنة اليعقوبي (ج ١ ص ١٨٩) والبلاذري ص ٢٢٨ وفي قول آخر له سنة ٢٣ هـ . والكندي ص ١١ من كتاب الولاة ، وابن الأثير (الكامل) ج ٣ ص ٣٩ ، والمقريزي الخطط ج ١ ص ١٦٨ والسيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ٢٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٨

(٢) أراد عثمان أن يجعل عمراً على الحرب وعبدالله بن سعد بن أبي سرح على الخراج فأبى عمرو وقال : أنا إذن كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها

حتى قيل إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار[١]

ثم وجه ابن أبي سرح همه إلى الجنوب فنزا بلاد النوبة من جديد ، وبلغ دنقلة فى سنة ٣١ هـ وقاتل أهلها قتالا شديدا[٢] ، ومع ذلك فإن النصر لم يتم لابن أبي سرح ، فلجأ إلى مهادنة النوبيين وعقد معهم صلحاً رواه من المؤرخين البلاذري والكندى والمقريزى وترجمه لين بول فى «تاريخ مصر فى العصور الوسطى» (ص ٢٠—٢١) وهو أشبه بمعاهدة اقتصادية بين مصر والنوبة : هذه تمدهم بشيء من الحبوب والعدس، وتلك ترسل إليهم الرقيق[٣]

كذلك تولى ابن أبي سرح قيادة معركة بحرية نشبت سنة ٣١هـ[٤] بين العرب والبيزنطيين تحت قيادة ملكهم قسطنطين بن هرقل ، وكان النصر للعرب على الروم فى هذه الوقعة التى عرفت باسم موقعة « السوارى » أو « ذات السوارى » لكثرة سواري المراكب التى اشتركت فى القتال[٥]

أما مثير هذه الحرب فهو قسطنطين بن هرقل فلقد دبَّ فى نفسه دبيب السخط فعمل على الأخذ بالثأر لما أصاب المسلمون من أملاكه فى غرب مصر ، فخرج فى عدد من المراكب يتراوح بين خمسمائة وألف على ما ذهب إليه المؤرخون على اختلافهم ، وخرج ابن أبي سرح بمائة مركب ، واشتبك القتال بالغرب من الساحل الافريقى فى الفرضة المسماة بفرضة زيواره[٦]

حسن ابراهيم حسن

(١) البلاذرى ص ٢٣٤ ، والكندى ص ١٢ (ذكر البلاذرى ان الغزو تم فى سنة ٢٧ أ : ٢٨ أ ، ٢٩ هـ)

(٢) يدلك على شدة القتال بين العرب وأهل النوبة (أو الأساود) هذا البيت الذي رواه الكندى :

لم ترعينى مثل يوم دمقله والخيل تعدو بالدروع مثقله

(٣) البلاذري ص ٢٤٥ — ٢٤٦ والكندى ص١٢ — ١٣

(٤) يؤكد الطبرى أن هذه المعركة حدثت سنة ٣١هـ لا ٣٤هـ كما ذكر بعض المؤرخين .

(٥) روى الطبرى أن عدد المراكب بلغ خمسمائة (وقيل ستمائة) وقال الكندى ص ١٣ أن عدد مراكب الروم بلغ ألفاً (وقيل سبعمائة) وبلغ عدد مراكب المسلمين مائتين

(٦) الطبري (طبعة القاهرة) ج ٥ ص ٦٩ ، ٧٠

خظى بالشيء ...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى
المصورة ، اليازجى ... ...

— ٢ —

طالع الأستاذ الرافعي (رحمه الله) كلمة المجمع اللغوى (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) فنشر مقالة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوى ، رد على رد) — البلاغ ١٨ شوال ١٣٥٢ — أطنب[١] فيها فى أمر البرقية ثم قال : « وانتهى الأستاذ (أي مدره[٢] المجمع الشيخ حسين والى) إلى مادة اللغة فلم يأتنا بكلام من الفصيح جاء فيه مثل استعمال (يحظى بتشريف) بل سكت عن هذا مع أنه هو كل ما نريد . ثم قال : إنه يجوز استعمال الباء مع حظى واستدل بقول الزمخشرى فى الأساس (حظى بالمال وأحظاه الله بالبنين) وهاهنا أردنا أن يبحث أعضاء المجمع فى وجه استعمال حظى بالمال وحظى بالبنين ، فانهم إن اهتدوا إليه فسيرونه رداً عليهم . ولا نزال نطلب منهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعى لهذا الفعل (حظى) ليتكشف لهم الخطأ فى استعماله . ثم قال فضيلته : (إنهم استعملوا التشريف بمعناها الأصلى لا بمعنى الحضور ، ومعموله مفهوم أى تشريف جلالته إياه) قال هذا وسكت عن الباقى ، والباقى هو قولهم (تشريف جلالته إياه لافتتاحه) فاذا لم تكن هذه اللام فى (افتتاحه) نصاً فى تقييد معنى التشريف بالحضور فما موضعها هنا ؟ إن المجمع على كل حال قد حظى بتشريف جلالته إياه) إذا أريد من التشريف معناه الأصلى ، فان هذا المجمع إنما هو عناية سامية من جلالة مولانا الملك وأثر من آثار فضله وبركة من بركات يمنه وكل هذا تشريف ، فعلى تأويل حضرة العضو يكون كلامهم لغواً لا محل له ، وإلا فرده هو لغو لا محل له »

* * *

(١) الاطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً ، وأطنب فى الكلام بالغ فيه (اللسان)

(٢) قال أبو زيد : المدره لسان القوم والمتكلم عنهم (اللسان)

الأستاذ الرافعي وأزهري المنصورة

في ١٩ من شوال سنة ١٣٥٢ ظهرت في (البلاغ) كلة عنوانها «حظي بالشيء والأديب الصغير» للأستاذ أزهري المنصورة . ومما قاله : «قال (ديوان الحماسة) :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال (الأساس) : «وحظي بالمال ، وتقول : ما حليَ بطائل[1] ، ولا حظي بنائل»

وديوان الحماسة هو الذي اختاره أبو تمام ، قالوا : «لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع أبو تمام[2]» وأبو تمام حجة، فما قولك فيما رواه من شعر العرب . قال (الكشاف) : «وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو[3] من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : (الدليل عليه بيت الحماسة) فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»

والأساس هو (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله «ومن خصائصه — كما قال أبو القاسم — تخيّرُ ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين»

فالأديب الصغير لم يحظ بالصواب حين خطأ (حظي بالشيء) في قول حضرة أعضاء المجمع اللغوي لا (حضرات أعضاء المجمع) كما قالت حضرته ، لأن الأعضاء كلهم أجمعين حضرة واحدة ، ومن المستحيل أن يكونوا حضرتين أو ثلاث حضرات أو أكثر من ذلك

أجلْ ، إن أعضاء المجمع اللغوي محظوظون[4] كل المحظوظين لكنهم ما أخطأوا في فعل (الحظوة) كما قال (الأديب الصغير) اليوم ، وأديب كبير من قبل

* * *

رد الأستاذ الرافعي (رحمه الله) في (البلاغ ٢١ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهري المنصورة بمقالة عنوانها (حظي بالشيء) ومن هذا الردّ :

جاءنا حضرة أزهري المنصورة بالحجة القاطعة والشهادة القائمة على أن (حظي بالشي) هي من كلام العرب ، فكان كل ما قاله في هذا هو هذا : (قال ديوان الحماسة (وأورد البيت) وقال الأساس (وذكر قوله)

نحن نشير في كلامنا في انتقاد (المشرين حضرة) إلى مغامز دقيقة لا نستطيع أن نكشفها ، وقد طالبناهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعي لفعل (حظي) إن كانوا علماء لغة وفلاسفة لغة ، وسألناهم عن الكلام الفصيح الذي جاء فيه مثل قولهم (حظي بتشريف) وما نجهل ما قاله الأساس ولا بيت الحماسة ، ولو سأل (أزهري) حضرة الأستاذ صاحب البلاغ لبيّن له أنا كتبنا هذا البيت في كلتنا الثانية في الرد على فضيلة الأستاذ الشيخ والي ثم ضربنا عليه وأسقطناه من الكلام إذ ليس من عملنا نحن أن نأتي بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها ، ونبين فسادها

البيت لمحمد بن بشير الخارجي وهو من شواهد النحاة المشهورة ولا مطعن عليه . لكن الشاعر لا يريد الحظوة بل أراد معنى آخر فضاق باللفظ ، ولم يوفق إلى غرضه فاضطر أن يضمن (حظي) معنى (ظفر) ونقل الفعل عن أصله ، وحوله عن دلالته فلم تبق الكلمة حظي بل ظفر وسقطت حجة أزهري

وقد نص النحاة في شرح البيت على ما ذكرناه من معنى التضمين ، ويدل عليه أن بشار بن برد لما أراد هذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل حظي بل قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أما قول صاحب أساس البلاغة فلا دليل فيه لأعضاء المجمع بل هو من دليلنا نحن ، لأننا ننكر الاستعمال ونستهجنه مقيداً باعتبارين : الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة ، والثاني أنه في كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك

---

(١) قلت : في (الفائق) : حلوته كذا إذا حبوته به ، وحلي به إذا ظفر به : وفي (الصحاح) : لم يحل منه بطائل : لم يستفد منه كبير فائدة ، ولا يتكلم به إلا مع الجحد

(٢) قلت : القول للزمخشري وبعده : «ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل» وفي شرح الحماسة للتبريزي : «من أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة»

(٣) قلت : في (الكليات) : الفاء في خبر المبتدأ المقرون بإن الوصلية شائع في عبارات المصنفين ، ووجهه على أن يجعل الشرط عطفاً على محذوف والفاء جوابه والشرطية خبر المبتدأ ، وإن جعل الواو للحال والشرط غير محتاج إلى الجزاء فاشبه الخبر بالجزاء حيث قرن بالمبتدأ الشرط

(٤) في اللسان : «لم أسمع لمحظوظ بفعل أي أنهم لم يقولوا حظ» أي بالبناء لما لم يسم فاعله ، والقائل هو الأزهري وإن لم يذكره اللسان

وبعد هذا نقول (لأزهرى) : إن سجعة الزمخشرى التى استدل بها هي كأكثر سجع الرجل فى كتابه من الكلام الغث البارد الذى لا وزن له ، وقد سمّى الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أساس اللغة »

قلت : قال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : وهو (أى بيت محمد بن بشير) من شواهد النحاة المشهورة

والشاهد فيه حذفه حرف الجر من (مدمن) ومثل ذلك جائز. ويحذف هذا الحرف فى المعطوف على ما تضمن مثل المحذوف وإن انفصل عنه بلا كقوله — وهو من شواهدهم —

ما لمحب جَلَدٌ أن يهجرا ولا حبيب رأفة فيجبرا

ولبيت بشار المذكور فى (الرد) حكاية لطيفة رواها أبو الفرج وابن الخطيب :

غضب بشار على سَلْم الخاسر[1]، وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعة من أخوانه ، فجاءوه فى أمره ، فقالوا : جئناك فى حاجة ، فقال : كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً . قالوا : ما جئناك إلا فى سلم ، ولا بد من أن ترضي عنه لنا ، فقال : أين هو الخبيث؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبّل رأسه ، ومثل بين يديه وقال : يا أبا معاذ ، خريجك وأديبك . فقال : يا سلم من الذى يقول :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال : أنت يا أبا معاذ ، جعلني الله فداءك ! قال : فمن الذى يقول:

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللـذة الجسور

قال : خريجك يقول ذلك . قال : أفتأخذ معانيّ التى قد عنيت بها وتعبت فى استنباطها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظى حتى يروى ما تقول ويذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبداً . فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه »

ولقد تجرأت فذكرت قول الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : « إن سجعة الزمخشرى التى ... » أجل أن أبين أن الكبير قد يحمل على شيء غضبه فى بعض الأحايين فيقول . والشاهد فى (الأساس) هو (وحظى بالمال) والسجعة إنما هى مثال

وإنى لموقن حق موقن أن ليس فى هذا العصر من يسبق الأستاذ الرافعى فى إجلال إمام الأئمة وعرفان مقداره

وإذا استنزل بعض سجعات فى (الأساس) مستنزل ففى (الكشاف) ما « تنقطع عليه أعناق العتاق السبّق ، وتنى عنه خطا الجياد القرح » وتنث عنده أقول بلينة ، قائلوها بلغاء من الطراز الأول

* * *

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة فى (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) — الأستاذ الرافعى (رحمه الله) وعنوان الجواب (أئمة اللغة ، حظى بالشيء ، الشيخ ابراهيم اليازجى) ومما قال :

« ١ — أوردنا بيت (الحماسة) وفيه أن (يحظى بحاجته) ، وقد شرح هذا الديوان أئمة كثيرون ، وجمع الإمام التبريزى شروحهم ، ولم يعترض على قائل ذلك البيت معترض

٢ — وجئنا بكلام (الأساس) والزمخشرى هو صاحب الكشاف عن حقائق التنزيل

٣ — وجاء فى (نهج البلاغة) : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون)

وقد فسر العلامة (ابن أبى الحديد) العهد الذى فيه هذه اللفظة ولم ينقدها ، وشارح النهج من أئمة العلم والأدب

وإذا قيل : هو النهج ، وقد قالوا فيه ما قالوه — قلنا : حال (النهج) حال الأقوال لوفود العرب على كسرى ووفود قريش على سيف بن ذى يزن وأمثالها ، وقد اطمأنت الأئمة إلى عربيتها والنهج معظمه ظهر حين افتعال تلك الأقوال . والقرن الثانى والثالث أوله ومنتصفه أقرب إلى العربية الأولى من آخره ومن جميع الرابع . وقد أملى ابن دريد فى زمانه (ووفاته سنة ٣٢١) تلك الروايات والأساطير ، وأصبحت لتها فى كتاب (الأمالى) حجة المحتج[1]

٤ — وجاء فى المقامات لابن الحريرى (وهو من أئمة اللغة) فى المقامة الأربعين : (نهضا وقد حظيا بدينارين) وللعلامة ابن الخشاب البغدادى رسالة فى تخطئة الحريرى ، وقد غلطه فى ألفاظ كثيرة فى مقاماته ولم يخطئه فى (حظيا بدينارين)

قد يكون هذا الفعل (حظي بكذا) نشأ فى الزمن الاسلامي

(١) سمى الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى به طنبوراً (الوفيات)

(١) قلت: وكلها — لا بعضها — مصوغة مصنوعة

أو الأموى نشوء ألوف مثله لا قبل ذلك ، لكن هذا لا يضير ، وقد نجمت ألفاظ في القرن الخامس في (الجزيرة) ولما جاء الامام الزمخشري [1] وسمعها استجادها وأودعها كتبه

كيف كانت الحال لو لم يجيء الاسلامي والمولد والمعرب ؟ وهل كانت ألفاظ (الجزيرة) في الجاهلية تجزئ في تلك المدنية الزاخرة ؟ »

قلت : أشار الأستاذ (أزهري المنصورة) إلى ناشئات القرن الخامس أو (نواشئه) وإبداع الزمخشري بعضها كتبه . وهذه تتفة منها في (أساسه) :

« أهل الحجاز يسمون الزرع والطعام (عيشاً)

سماعي من فتيات مكة : الصوفية [2] (اللوقية) : لأن الطعام لوقاً وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون في كل شيء لا يحسن الانسان عمله : قد(عقه)!

اكتريت من أعرابي فقال لي أعطني من (سطاتهن) أراد من خيار الدنانير

سمعت خادماً من اليمامة يقول — وقد وكف السق — : يا سيدي هل (أهب) عليه التراب بمعنى هل أجعله عليه ، وهو من الهبة لأن معنى وهب له الشيء جعله له

رأيت العرب يسمون الكزبرة (الدقة) وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجُوالق [3] (استشق به) أي حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : (عكشتك) بمعنى سبقتك من قوله (عليه السلام) : « سبقك إليها عُكّاشة » وهو عكاشة بن محصن الأنصاري »

ومما أورده الامام الزمخشري في (كشافه) : « مما طنّ على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشُّقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق ، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ، أردت المحمل العراقي ، فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه (الشقنداف) فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى »

ومن كلمة الأستاذ أزهري المنصورة « لم يقل أحد شيئاً في الفعل (حظي بالشيء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي وكان هذا الرجل قد جاء مصر وأنشأ فيها مجلة (البيان) ثم مجلة (الضياء) وعلق ينقد ويغلّط . وكان يغلط كثيراً في تغليطه ونقده . ومن هفواته التي أذكرها زمن الطلب في الأزهر تخطئته الأديب الكبير (حافظاً) في قول في كتاب (البائسين) وقد لاقاه بعد هذا النقد حجة الاسلام (السيد محمد رشيد رضا) فقال له — وقد سمعنا قوله — : (يا شيخ ، يا شيخ ، إن الذي خطأته في كلام حافظ ابراهيم هو في أول صحيح البخاري) فبهت الشيخ ابرهيم ، وترك السيد وهو كاسف البال . وكان وقوف الشيخ اليازجي على المعجمات وكتب الآلات أكثر من اطلاعه على كلام العرب ، ومن هنا ومن فرط ميله إلى القياس هوى فيما هوى فيه »

الاسكندرية (***)

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الكاتب

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع في قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

(١) قلت : ولادة الزمخشري سنة ٤٦٧ وتوفي سنة ٥٣٨ كما ذكر ابن خلكان

(٢) في الأساس : الصوفية زنانة حفانة ، يرتصون ويجرفون الطعام بحفناتهم ، والزمخشري حرب الجماعة ، وتهجينه إياها في كشافه كثير

(٣) الجوالق وعاء معروف معرب كواله كما في الفتح والصواب أنه معرب جوالة بالجيم الفارسية المنقوطة بثلاث من تحت ج جوالق بالفتح (التاج) أي فتح الجيم

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٣ —

« سقط من المقالة الثانية والثلاثين المنشورة بالعدد الماضى من الرسالة ، بعض عبارات خفى فيها بعض المعنى ؛ كما وقع بها بضعة أغلاط مطبعية ابتعدت بها قليلا عن النهج ؛ فنعتذر من هنا وذاك إلى قرائنا ، راجين ألا تلزمنا الضرورة مرة أخرى أن نعود إلى مثل هذا الاعتذار »

سعيد العريان

مقالاته للرسالة (٤)

كان فيما تحدث به صديقنا المهندس الأديب محمد ؟ إلى الرافعي من أسباب عزوبته أن الزواج عنده حظ مخبوء ، فإنه ليخشى أن يحمل نفسه على مالا تحتمل من العنت والمشقة في سبيل إعداد ما يلزم للزواج ، ثم تكون آخرة ذلك أن يجلوا عليه فتاة دميمة لايجد في نفسه طاقة على معايشتها ما بقى من حياته ، أو فتاة فاسدة التربية لا يدخل بها على زوجته ولكن على معركة ...

وقد ظل هـذا القول عالقاً بذهن الرافعي يلتمس الوسيلة إلى تفنيده والرد عليه ، حتى وقع على قصة احمد بن أيمن (كاتب ابن طولون) ، فأنشأ مقالة « قبح جميل » ، وهى القصة الثانية مما أنشأ الرافعي لقراء الرسالة ؛ وهى الحلقة الخامسة من سلسلة مقالاته في الزواج ، وفيهـا توجيه معتبر للحديث الشريف : « سوداءُ ولودٌ خير من حسناء لا تلد ! » يسلك هذه المقالة في باب «الأدب الدينيّ» الذى أشرتُ إليه في بعض ما سبق من الحديث .

ثم كانت الحلقة السادسة هى قصـة « رؤيا في السماء » ، وتتصل بمـا سبق من المقالات بأسباب ، على أنها تتحدث عن الزواج بمعناه الأسمى ، وتدعو إليه الدعوةَ الانسانية التى تعتبر الزواج باباً من الجهاد لسعادة البشرية كلها... في هذه المقالة ؛ لا أعرف سببا خاصا من مثل ما قدمتُ دعاه إلى إنشائها ، ولـكنها جملة الرأى وخلاصـة الفكر وأثر اشتغال الواعية الباطنة قرابة شهرين بموضوع الزواج ؛ فهى من الموضوع كالهامش والتعليق ، أو الحكم بعـد المداولة ، أو هى الصفوةُ الصريحة بعد ما يذهب الزَّبد وتنطفيء الرغوة ...

وقد ترجم هذه القصة إلى الفرنسية الأديب الباحث الأستاذ فليـكس فارس ؛ وكانت هى أول الصلة بينه وبين المرحوم الرافعي ثم اتصل بينهما الود .

* * *

لما أنشأ الرافعي « قصة زواج » تحدث بها الأدباء في مجالسهم وتضاعفت رسائلهم إليه معجبين مستزيدين ؛ وتضاعف إعجابه هو أيضاً بنفسه .. فاستزاد واستمد ، والتزم الـكتابة على أسلوب القصة ، فكان على هذا النهج أكثر رسائله من بعد

وجلست إليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال وهو يدفع إلى طائفة من رسائل القراء : « اقرأ يا شيخ سعيد ... أرأيت مثل هذا ؟ أيحق لأحد أن يزعم لنفسه القدرة على خير مما أكتب في موضوعه ؟ أيملك كاتب أن يردّ علىّ رأياً من الرأى ؟ ... » ومضى في طرائق من مثل هذا القول عن نفسه وعن طائفة من خصومه ؛ فعرفت أنه في لحظة من تلك اللحظات التى تنتبه فيها النفس البشرية إلى طبيعتها ، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، إيماناً هو بعض الضعف الانساني في طبيعتنا البشرية وهو بعض أسباب القوة في النابغين من أهل الآداب والفنون ؛ ذلك الايمان الذى نسميه أحياناً صلفاً وعنجهية وكبرياء ؛ ونسميه في النابهين والعظماء ثقة بالنفس وشعوراً بالقوة !

وكان يلذنى في أحيان كثيرة أن أشهد الرافعي في مثل هذه الساعة من ساعات الزّهو والاعجاب بالنفس ، وأجد في ذلك متاعاً لنفسي وغذاء لروحي ؛ لأن الرافعي بما كان فيه من طبيعة الرضا والاستسلام للواقع كان رفيقاً متواضعاً ؛ فلا تشهده في مثل هذه الحال إلا نادرة بعد نادرة ؛ فاذا شهدته كذلك مرة فقد شهدت لوناً طريفاً من ألوانه ، يوحى إلى النفس بفيض من المعانى وكأنما هو يعدى سامعه من حالته . فيحس في نفسه قوة فوق قوته ، وكأن شخصاً جديداً حلّ فيه ...

... وسرنى أن أجد الرافعى كذلك فى تلك الليلة ، فأصغيت إليه ومضى فى حديثه ؛ فلما انفض المجلس ومضيت إلى دارى ، وسوس إلى الشيطان أن أعابثه بشىء ... فكتبت إليه رسالة بإمضاء (آنسة س) أرد عليه رأيه فى قصة سعيد بن المسيب وأعيب ما صنع الرجل بابنته ، وعمدت فى كتابة هذه الرسالة إلى تقليد أسلوب من أسلوب الدكتور طه ، يعرفه قراء الرسالة ويعرفه الرافعى ...

وبلغته الرسالة فقرأها ، فنبهته إلى ما كان فيه من أمسه ؛ ووقع فى نفسه أن مرسلها إليه هو تلميذ أو تلميذة من تلاميذ طه موحًى إليه بما كتب فتحمس للردّ، وأنشأ « ذيل القصة وفلسفة المهر » وجعل أول مقاله رسالة (الآنسة س) وراح يسخر منها ومن صاحب رأيها سخرية لاذعة ؛ ثم عاد إلى موضوع فلسفة المهر ...

وقرأ الزيات المقالة فرأى فيها تعريضاً بصاحبه لم يرض عنه ، فكتب إلى الرافعى يطلب إليه أن يوافق على حذف مقدمة المقالة ، حرصاً على ما بين الرسالة وصاحبه من صلات الود ... وكان له ما طلب ، فنشرت المقالة فى موعدها خالية من هذا الجزء ولكنها لم تخل من إشارات مبهمة إلى أشياء غير واضحة الدلالة وكذلك نشرت من بعد فى وحى القلم ...

***

ثم كانت قصة « بنت الباشا » وهى السابعة من مقالاته فى الزواج ، وقد ألهمه موضوعها صديقه (الزبال الفيلسوف) الذى تحدث عنه فى هامش هذه المقالة . وهذه المقالة فيما ترى إليه تعتبر متممة لموضوع « قصة زواج » فهى دعوة اجتماعية لآباء الفتيات إلى الانطلاق من أسر التقاليد فى شئون الزواج ، وفيها إلى ذلك شىء من الحديث عن « فلسفة الرضا » التى أسلفت القول عنها فى « حديث قطين »

أما هذا الزبال الذى نوه به الرافعى فى أكثر من مقالة ، فهو من عمال قسم النظافة فى « بلدية طنطا » ، وكان عمله قريباً من دار الرافعى فى الشارعين اللذين يكتنفانها ، وكان إذا فرغ من عمله فى الكنس والتنظيف اتخذ له مستراحاً على حيد الشارع تجاه مكتب الوجيه محمد سعيد الرافعى (المقاول) ، فيقضى هناك أكثر أوقات فراغه ، نائماً أو محتبياً ينظر الرائحين والغادين من أهل الثراء والنعمة، أو شادياً يصدح بأغانيه؛ فاذا جاع بسط منديله على الأرض فيأكل ما فيه، ثم يشعل دخينة ويعود إلى حبوته يتأمل..

كان هذا الزبال صديق الرافعى ، بينهما من علائق الود وصفاء المحبة ما بين الصديقين ؛ وكان الرافعى يسميه « أرسطو الجديد » . وأول هذه الصلة التى بينهما أن الرافعى كان يلذه أحياناً أن يجلس على كرسى فى الشارع أمام مكتب أخيه ، حيث اتخذ الزبال « محله المختار » فكان يوافقه فى مجلسه ذلك على ماقدمت من وصفه ، فيرفع يده إلى رأسه بالتحية وهو يبتسم ، ثم يجلس ؛ فكان يحادثه أحياناً فى بعض شئونه يلتمس بعض أنواع المعرفة ... ويكرمه ويبره . وأنس إليه الزبال ، فكان يسأل عنه إذا غاب ، وينهض لتحيته إذا حضر ؛ وصار من بعض عادات الرافعى من بعد ، أن يسأل عن الزبال حين يغيب ، وأن يشترى له كلما لقيه دخان بنصف قرش ، مبالغة فى إكرامه ...

وكان الرجل أميا ولكن الرافعى كان يفهم عنه من حركات شفتيه ، وأحياناً يستدعى بينهما من يترجم له حديث الزبال مكتوباً فى ورقة ، وقد كنت الترجمان بينهما مرة . وكان الرافعى يحرص على هذه الورقات بعد نهاية الحديث كما يحرص الباحث على مطالعة أفكار من غير عالمه !

ومما كان يدور بين الرافعى وصديقه هذا من الحديث، عرف الرافعى طائفة من ألفاظ اللغة العامية كان يجهلها ، وطائفةً من الأمثال ونبهه ذلك من بعدُ إلى العناية بجمع أمثال العامة ، فاجتمع له منها بضع مئات بمصادرها ومواردها ، وأحسبها ما تزال محفوظة بين أوراقه . كما أفاد الرافعى من صداقة هذا « الفيلسوف الطبيعى » معانى وأفكاراً جديدة فى فلسفة الرضا لم تلهمه بها طبيعته .

ولهذا الزبال صنع الرافعى أكثر من أغنية ، أعرف منها الأغنية التى نشرها لقراء الرسالة فى العدد ٧١ سنة ١٩٣٤ وأغنية أخرى دفعها إلى الآنسة مارى قدسى معلمة الموسيقى بوزارة المعارف لتضع لها لحنا يناسبها .

وقد كان فى نفس الرافعى أن يكتب مقالة عن هذا الزبال يتحدث فيها عن فلسفته الطبيعية العملية ، وكان محتفلا بهذه المقالة احتفالا كبيراً ، حتى إنه همّ بموضوعها أكثر من مرة ثم عداها إلى غيرها حتى تنضج ؛ وقد هيأ لها ورقة خاصة كان يجمع فيها كل ما يتهيأ له من الخواطر فى موضوعها ليستعين به عند كتابتها ، ولكن الموت أعجله عن تمامها ، وأحسب أن هذه الورقة ما تزال بين ما خلّف من الأوراق .

سيدى بشر — محمد سعيد العريان

دراسات المستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية
الموجودة للقرآن
للعلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر

— ٣ —

وإذا كان الأمر كذلك فليس للانسان بالطبع أن يطلب اعتبار كل ما حوته تراجم المترجمين الغربيين منزهاً عن كل شك . ولكن يمكن مؤاخذة هؤلاء المترجمين — إن قليلاً أو كثيراً كل حسب عمله — على الأمور الآتية :—

(١) أنهم لم يحاولوا فهم القرآن قبل كل شيء من نصه أولاً ، كما يقضي بذلك قانون علم التفسير ، بل إنهم انزلقوا دون تريث في البحث وتثبت في الاستقصاء إلى الخرافات القصصية التي ذكرها العرب ، وإلى شروح المفسرين المتأخرين التي جارت الافتراض المذهبي التأملي ، والتي مر ذكرها

(٢) وأنهم كانوا على العكس من ذلك ، قليلي الاهتمام بالبيانات اللغوية التي أوردها المفسرون العرب

(٣) وأنهم لم يعنوا إلا قليلاً بمختلف قراءات القرآن التي عرفت لعهدهم

(٤) وأنهم كانوا يبحثون دائماً عن عناصر يهودية ونصرانية في القرآن ، ناسين أن الرسول (صلعم) نشأ في أيام الجاهلية وأنه لذلك تأثر بادئ ذي بدء بعادات ذلك العصر وبالاتجاهات والأسلوب واللغة لشعر ذلك العهد ، إذ كان للشعر أهمية عظمى في الحياة الثقافية للعرب الجاهليين

(٥) وأنهم لم يكونوا من المسيطرين على دقائق علم النحو القديم ولا هم من المتمكنين من المجاز والاستعارة والمعاني الاصطلاحية في اللغة العربية الفصحى لعهدها المتقدم

(٦) أن تراجمهم كانت حرة أكثر مما يجب ، وأنهم لم يفقهوا الكثير من المواضع العويصة المبهمة الواردة في القرآن ، ولذلك كثيراً ما يحصل القارئ على معنى لا ينطبق بحال على ما حواه النص الصحيح

ولأبرهن على أن حججي التي أوردتها مسببة ومدعمة آتي بمثل مجسم هو معالجة ما صارت إليه ترجمة السورة الحادية عشرة بعد المئة في مختلف التراجم الموجودة[1]

ونص هذه السورة الصغيرة الشهيرة هي :

(١) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(٢) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

(٣) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ

(٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

(٥) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

كذا في المصحف الشريف طبع المطبعة الأميرية وكذلك في المصحف طبع (Flügel) فلوغل . وسيأتي الكلام عن بعض الرسوم العامة التي وردت بها هذه السورة . وإلى جانب هذه نذكر ما يلي :

في الآية الأولى : وردت أبُو بدل أبي ؛ أنظر الشواذ لابن خالويه صحيفة ١٨٢ ، والكشاف للبيضاوي ، وغيرها . ووردت لَهْبٍ بدلاً من لَهَبٍ ؛ أنظر التيسير للداني صحيفة ٢٢٥ ، والكشاف ، والإملاء للعكبري ، وتفسير غريب القرآن للنيسابوري (حاشية تفسير الطبري ، الطبعة الأولى) الجزء الثلاثين

وأورد أبي بن كعب بين الآية الأولى والثانية الآية التالية :

حَالَفَ الْبَيْتَ الْوَضِيعَ عَلَى الْبَيْتِ الرَّفِيعِ فَشُغِلَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ شُغِلَ

راجع :

Jeffery, Materials for the History of the text of the Qur'àn (Leiden 1937), 180.

وفي الآية الثانية : وردت اكْتَسَبَ بدلاً من كَسَبَ

---

(١) راجع :

ZDMG, N. F., XI, S. jo* ff.—Paret's "neve Deutung" von
حافظات للغيب و ما كنا للغيب حافظين
Sure 4, 38 (34) bezw. 12, 18 sowie
أهل البيت
Sure 11, 76 (73) und 33, 33 (Littmann=Festschrift S. 125 ff.)
أعتبرها غير موفقة

(ابن مسعود) ، أنظر Jeffery a. a. O. 112, وابن خالويه صحيفة ١٨٢

والرأى عندى أن الذين ترجموا القرآن حتى الآن لم يترجموا من هذه الآيات الخمس الصغيرة سوى الآية الثالثة ترجمة صادقة ، أما الآيات الأربع الأخر فقد أساء الجميع دون استثناء فهمها

الآية الأولى والثانية : الفعل الماضى تبّت وتبّ الوارد فى الآية الأولى من السورة ، وكذلك الفعل ما أغنى الدال على نفى أو على استفهام فى معنى الانكار الوارد فى الآية الثانية ترجمها أغلب المترجمين بما يدل على تمنٍّ — أى دعاء بالشر ؛ أو أنهم ترجموها — بما لا يختلف عن ذلك كثيراً — بما يدل على معنى الاستقبال ؛ ويندر من ترجمها بما يدل على معنى الحال . والتمنى سواء كان للخير أو للشر يكون فى اللغة العربية الفصحى ، كما هو معروف ، بواسطة المفعول المطلق — انظر من تراجم القرآن مثلا : (Sale) سال (غالباً لندن طبعة سنة ١٧٣٤ ، والنسخة التى لدى طبعة لندن سنة ١٨٥٠ ؛ (Wherry) ورى

A Comprehensive Commentry on the Quràn : (Sale's Translation, London 1882-86, vol. IV, 293)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Sale) سال الانجليزية . وكذلك انظر (Kasimirski) كازيمرسكى (ترجمة القرآن طبعة (Paris) باريس سنة ١٨٤٠ غالباً ، والنسخة التى طبعت سنة ١٨٦٥) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Kasimirski) كازيمرسكى الفرنسية وكذلك انظر (Ullmann) ألمان (ترجمة القرآن طبع Crefeld) كريفلد سنة ١٨٤٠ ، الطبعة التاسعة سنة ١٨٩٦ ؛ والنسخة التى لدى الطبعة الثالثة سنة ١٨٤٤) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Ullmann) ألمان الألمانية . وانظر كذلك (Sprenger) شبرنجر فى كتابه

(Das Leben u. die Lehre des Mohammad, I, 484)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Sprenger) سبرنجر الألمانية . وانظر كذلك (Chenery) شنيرى فى كتابه :

(The Assemblies of al Hariri, translated, I, S. 439)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Chenery) شنيري الانجليزية . وعاثلهم (Rodwell) رودول[1] و (Palmer) بالمر و (Klamroth) كلامروت و (Grigull) جريجل و (Henning) هننج و (Pedersen) بدرسن فى :

(Lehmann's Religionsgeschichtliche leseb uch)

كتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان لواضعه ليمان ، الطبعة الأولى ، صحيفة ١٣٨ و (Gustav Weil) غوستاف فيل (فى ترجمته للسيرة الجزء الأول صحيفة ١٧٤) وغيرهم . وكذلك عدد من المترجمين الحديثين أمثال : محمد على (أحمدية إيتومانى أشاعاتى إسلام ، لاهور الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة محمد على الانكليزية وكذلك :

Grimme, Paderborn, 1923, S. 25

جريمة ، — وأورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة جريمة الألمانية ؛ وكذلك Mardrus ما ورد فى :

Le Koran . . . Trad. littérale et complète des Sourates Essentielle[1], Paris 1926

— ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Mardrus) ماردرو الفرنسية ؛ وكذلك (Bonelli) بونلى (Milano 1929) — ثم أورد الأستاذ أ . نص ترجمة (Bonelli) بونلى الايطالية . وكذلك (Buhl) بول فى (Das Leben Mohammeds) H. H. Schaeder هـ . هـ شيدر ، طبع ليبزج سنة ١٩٣٠ صحيفة ١٦٨ ، — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمته الألمانية . وكذلك (Pickthall) بكتهول . طبع لندن سنة ١٩٣٠ ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمته الانجليزية . وكذلك :

(Laï-Mèche et Ben Daoud,) (Oran s. a.)

لاى — ميش وابن داود ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمتها للفرنسية . وكذلك (Gemil Saïd) جميل سعيد استانبول سنة ١٩٢٤

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص الترجمة التركية . ولا تختلف كثيراً عن هذه ترجمة Ismail Hakki إسماعيل حقى ، الطبعة الثانية استانبول سنة ١٩٣٢

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نصها التركى . وكذلك Nykl نيكل (أنظر فيما يلى) وغير هؤلاء

(للبحث بقية) ابراهيم ابراهيم يوسف

(١) لى أن أعتبر هذه الكتب معروفة إجمالا . ولذلك لا أرى وجوب استنساخ ما بها .

(١) "Faite sur la demande des Ministères de l'Instruction Publique et des Affaires Étrangères"

جورجياس

أو البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٦ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(1)

(تابع ما قبله)

ج — وأضيف إلى هذا أنه إذا دخل طبيب وخطيب مدينة ما، ثم احتاج الأمر إلى المفاضلة بينهما أمام الجمهور المجتمع أو أمام أية هيئة أخرى ، فانه لن ينتبه أحد إلى الطبيب : وستفضّل من هو قادر على الكلام إذا كان بالفعل كذلك . وقل بالمثل إذا نافس الخطيب أى رجل من رجال المهن الأخرى ، : إذ دائمـا ما يفضل الخطيب غيره مهما كان ذلك الغير . لأنه ليست هناك مادة ما إلا ويستطيع أن يتكلم فيها أمام الناس بطريقة أكثر إقناعا من طريقة أى صاحب مهنة أخرى مهما كان شأنه ! ، والحق أن للبيان ذلك المرمى وتلك الخاصة ! ولـكن يجب ألا نستعمله مع ذلك ياسقراط إلا كما نستعمل التدريبات الأخرى ، ذلك أنه ولو أن الانسان يستطيع أن يتعـلم بتلك التدريبات الملاكمة وطرق استعمال أسلحة الحرب الأخرى بطريقة تكفل له قهر الأصدقاء والأعـداء على السواء ، فانه لا يجوز له أن يستعملها من أجل ذلك ضد الجميع ، أوأن يضرب بها أصدقاءه ويطعنهم ويقتلهم ! ولا يجوز لذلك الذي أكثر من التدريب فى الملاعب ، وكوّن فيها جسما قويا ، وأصبح بين جدرانها مصارعا مجيدا ، لا يجوز له أن يضرب أمه أو أباه أو أحدا من أقرباء والديه وأصـدقائه ، وأن يعادى ويكره مدربى الرياضة والسيف فيطردهم من المدن ! إذ الحق أن هؤلاء المدربين لم يروضوا تلاميذهم بهذه التدريبات إلا بقصد أن يحسنوا استعمالها ضد الأعداء والأشرار ، وفى الدفاع لا الهجوم ! فاذا وجه التلاميذ بعد ذلك قوتهم وحيلهم إلى الشر على غير قصد أساتذتهم ، فلا ينتج عن هذا أن أساتذتهم أشرار وأنهم شرير ، لأن الخطأ قائم فقط — كما أرى — فيمن يسيئون استعمال الفن ؟ .

وهكذا نستطيع ياسقراط أن نصدر نفس الحـكم على البيان: إذ الحق أن الخطيب يستطيع أن يتكلم ضد الجميع وعن كل شىء لأنه أجدر الناس باقناع الجماهير بما يريد ، ولـكن ما كان هـذا ليساعده قط على تشويه اسم الأطباء وغيرهم من رجال المهن الأخرى لأن الأمر على نقيض ذلك تماما ؛ وإذا فلا يجب أن نستعمل « البيان » إلا وفقا لقوانين العدالة كما هو الحال فى التدريبات الأخرى . فلئن أساء أحدهم — ممن قد أعـدوا له — استعماله كقوة وفن بقصد ارتكاب عمل ظالم ، فلن يكون لنا الحق — فيما أظن — أن نعتمد على العمل وحده ونكره الأساتذة الذين لقنوا الفاعل ذلك الفن وننفيهم من المدن ، لأنهم لم يلقوا بفنهم بين يديه إلا بقصد أن يستعمله فى أغراض ولأسباب عادلة ، فراح هو يستعمله استعمالاً يناقض قصدهم تمام التناقض ؛ وإذا فالعدل هنا أن نكره التلميذ المسىء وأن نطارده ونقتله ، وليس العـدل أن نفعل ذلك مع الأساتذة !!

ط — أظن ياجورجياس أنك قد اشتركت مثلى فى مناقشات

(١) انتهى جورجياس فى العدد الماضى إلى قول عجيب فحواه أن الخطباء هم أصلح الناس للـكلام فى شئون الحرب من حصار وهجوم وتحصين ، وأن الأطباء كثيرا ما فشلوا فيما قد نجح فيه أهل البيان ! وسنرى اليوم كيف يطبق سقراط آراء أفلاطون الخالدة فى ضرورة الترحيب بالنقد ما دام هو الأداة التى تحرر العقل من ظنونه وأخطائه ، وكيف ينثنى بعـد ذلك على صاحبنا جورجياس فيوقعه فى التناقض المضحك . « المعرب ».

كثيرة ، وأنك قد لاحظت فيها شيئا : هو أن الناس عندما يشرعون فى المناقشة يجدون مشقة كبيرة فى تحديد أفكارهم من سائر النواحى ، وفى الوصول إلى موضـوع المناقشة بتوضيحه لأنفسهم وتحقيقه على التبادل ، وإذا ما نشأ بينهم بعض التناقض وادعى أحدهم أن الآخر لايتكلم إلا بقليل من الوضوح والحق ، فانهم يغضبون ويظنون أن المقاطعة إنما توجه إليهم بباعث الحسد وأن المرء إنما يتكلم بعامل الخصومة دون أن يبغى توضيحا للقضية المعروضة . ولذلك ينتهى الأمر ببعضهم إلى تبادل الشتائم المقذعة ثم الانفصال بعد الاحتكاك بشخصيات بغيضة ممقوتة ، كما ينتهى بالمشتركين إلى (المساعدين) فى المناقشة إلى أن يستنكفوا من وجودهم فى مثل تلك الأحوال (١)

فهل تدرى لم أخبرك بذلك ؟ إنما أخبرك به لأنه يلوح لى أنك لا تتكلم الآن بنحو يجد وبطريق يلتئم تماما مع ما قررت من قبل عن البيان ! ؛ وأفهم أنى إذا ما ناقضتك فسوف لا تقول إن قصدى هو أن أناقضك وأن أتوم فى وجهك ، وإنما ستقول إن قصدي هو أن يتضح لنا فقط موضوع الحديث ! ؛ فاذا كنت تنظر للأمر كما أنظر إليه فسأسائلك باغتباط ؛ وإلا فلن أذهب معك إلى أكثر من ذلك ، وهاك نظرتى : إننى من أولئك الذين يحبون أن يُناقَضوا عند ما لا يقولون الحق ، ولكنهم يحبون أيضاً أن يُناقِضوا غيرهم عندما يرونهم حائدين عنه ، وليس سرورهم بعد هذا من مناقضة غيرهم لهم بأقل من سرورهم عند ما يناقضون هم غيرهم ! إذ الحق أنى أعتبر المناقضة يا جورجياس خيراً عظيما ، وأرى أن الأفضل لنا هو أن نخلص أنفسنا أولا من أسوأ الشرور بدلا من أن نخلص غيرنا منها ؛ كما أنى لم أعرف بعد وزراً يعدل وزر أن يكون لدينا أفكار خاطئة عن الموضوع الذى نعالجه (٢) ؛ فاذا كان حقاً ما تدعى من أنك مثلى فى النظر والاستعداد فلنعد للمناقشة ، وإذا كنت ترى أنه يجب أن نتركها حيث وقفنا فليكن ما تريد ولينته الحديث

ج — إنى لأخبر يا سقراط بأنى من أولئك الذين صورتهم تصويراً ، ومع هذا فأحسب أنه يجب أن نعنى كذلك بأولئك الذين يشتركون معنا فى الحديث لأنى قد شرحت لهم أشياء كثيرة قبل مجيئك بزمن طويل ، وإذا نحن عدنا إلى المناقشة فيها ثانياً فسيذهب بنا القول بعيداً جداً . ولهذا يحسن أن نفكر فيهم حتى لا يبقى منهم من يكون له عمل آخر يشتغل به أثناء الحديث (١)

(١) أليس ذلك ما يحدث اليوم تماماً ؟ فلنحن الرأس إذن لأفلاطون !

(٢) أحسب عظمة هذا القول الخالد واضحة

س — إنكما لتسمعان بنفسكما يا جورجياس وسقراط ذلك الصوت الذى يحدثه الحاضرون ليكون شاهداً على رغبتهم فى الانصات إليكما إذا واصلتما الحديث وأرى من ناحيتى أنه لا يرضى الآلهة أن يكون لدى من الأعمال الكثيرة الهامة ما يضطرنى إلى ترك مناقشة كلها الفطنة والمنطق كيما أشتغل بما هو أكثر ضرورة منها !

ك — لقد أصبت وحق الآلهة جميعاً يا شيريفين ! فأنا الآخر أشتغل بأعمال كثيرة ولكنى لا أعرف منها أبداً عملا واحداً يسبب لى من اللذة بقدر ما تسبب لى هذه المناقشة . ولعل هنا هو السر فى أنكما تطوقان جيدنا بالفضل (يا جورجياس وسقراط) إذا شئتما وتناقشتما هكذا طوال اليوم !

ط — لن تجد يا كاليكس أية عقبة من ناحيتى إذا وافق جورجياس على المناقشة .

ج — ليكونن عاراً على ألا أوافق بعد اليوم يا سقراط ، خصوصاً وقد ادعيت لنفسى القدرة على إجابة جميع ما يوجه إلى من الأسئلة ، فلنعد إلى الحديث ما دام فى ذلك سرور للحاضرين واعرض على ما تراه جديراً بالعرض (٢)

ط — فاعرف إذا مايدهشنى من حديثك ! — وقد يكون أنك لم تقل غير الحق وأنى قد أسأت الفهم ! — إنك تدعى أنك تستطيع أن تجعل ممن يرغب فى دروسك خطيباً !؟

ج — نعم

ط — ومعنى ذلك أنك تجعله قادراً على الكلام فى كل موضوع بطريقة ساحرة أمام الجماهير بحيث يقنعهم دون أن يعلمهم !؟

ج — تماماً (٣)

(يتبع) محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ هنا تهرب جورجياس وخوفه من أن يكشف سقراط عن أخطائه فيما سلف له من قول فى منزل كاليكس ، وهو لذلك يبتى الكلام فى أشياء جديدة بحجة أن تناول القديم يصرف المستمعين عن المناقشة

(٢) إنها الحيرة المتكبرة التى تحمل الأستاذ المغرور على هذا الرد الماكر

(٣) هكذا تدخل المحاورة فى موضوعها الأساسى شيئاً فشيئاً وأحسب القارئ الكريم قد بدأ يلمس معنا طرافتها وإحكامها وجمال أسلوبها ودقة تقدمها وتهكمها « المعرب »

التاريخ فى سير أبطاله

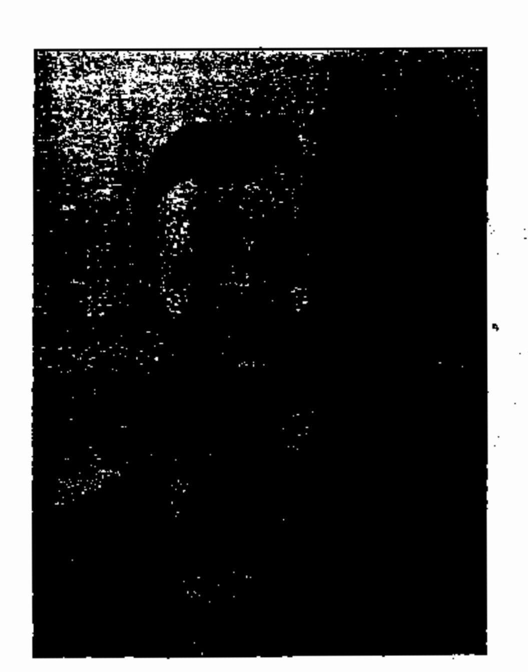
ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ١٩ —



وجاء يوم الانتخاب ففاز لنكولن وأصبح رئيس الولايات المتحدة ، أصبح فالق الأحشاب الخليفة الخامس عشر لوشنجطون العظيم بطل الاستقلال . فكأنما كان مجيئه يومئذ من تدبير الأقدار لقرن اسمه فى تاريخ أمريكا باسم محررها الأول فعليه اليوم أن يمسك بنيانها أن يخر من القواعد

وكان نجاح ابراهام محققاً قبل يوم الفصل بما كان لحزبه من جاه ونفوذ فى أهل الشمال وهم أكثر عدداً وأحكم سياسة من أهل الجنوب ، وذلك فضلا عن اتحاد كلمة ذلك الحزب ونشاط أعضائه بينما كان يتنازع الديمقراطيون ويتنابذون كأن بينهم عداوة على أن خصوم ابراهام يعيرونه بهذا الفوز إذ كانوا لا يعدونه فوزاً ، فهم يقولون إن ما ناله منافسوه من الأصوات يربو كثيراً على ماظفر به، هذا إلى أن عدداً من الولايات الجنوبية لم يجد عليه أهلها بصوت واحد ... ولكن أصحابه يعلنون أنه الغالب فانه ليندر أن فاز قبله أحد بمثل ما فاز به من الأصوات وإن بينه وبين دوجلاس أقوى منافسيه وأقدرهم لفرقاً كبيراً يشهد بغلبته وعظم مكانته ...

وكان على ابراهام أن يقضى أربعة أشهر أخر قبل أن يحتفل بتسلمه أزمة الحكم فقضاها فى سبرنجفيلد بينما كان الرئيس بيوكانون يكمل مدته بقضاء تلك الأشهر فى البيت الأبيض فى وشنجطون

ولبث ابراهام فى سبرنجفيلد يلقى زائريه كل يوم ويمشى فى الطرقات بين الناس لا يجعل بينه وبينهم كلفة ولا يتخذ من دونهم حجاباً، يحييهم فيدعوهم بأسمائهم ويردون فيدعونه بأحب أسمائه إليه، فمنهم من يناديه أيب الأمين ومنهم من يناديه أيب العجوز ومنهم من يقولها مجردة من النعوت

وتبدو « أيب العجوز » يومئذ أقرب النعوت منه وأعلقها به ، فإن على محياه لكآبة هى من أثر ما يهجس فى نفسه ، وإنه اليوم لكثير التأمل والاطراق لا يسمع الناس من أقاصيصه ما كانوا قبل يسمعون ، ولا يشهدون من عذوبة روحه ما كانوا يشهدون

أما امرأته فرحة طروب ، لا تملك نفسها من الزهو حينما تقف إلى جانب بعلها فى شرفة الدار وهما يطلان على الجماهير الهاتفة وإن كانت لتنكره وتتبرم منه بهذا الوجوم وهذا الصمت ، وإن كانت لتنكر عليه مايظهر فيه من ملابس وخاصة قبعته التى ألحت عليه وما تفتأ تلح عليه أن يستبدل بها أخرى جديدة فلا يطيع !

وحق له أن يبتئس وأن يرتاع فما تزال تتراءى إليه الشائعات والأنباء المزعجات ، فهذه صحيفة من صحف الجنوب تعلن نبأ اختياره للرياسة تحت عنوان أخبار خارجية ، وهذا حاكم كارولينا الجنوبية يتناول المعول فيهدم أول حجر من بناء الاتحاد ... لقد استقال أعضاء الشيوخ لهذه الولاية وانسحبوا من وشنجطون ، بينما أخذ الحاكم يعد ما استطاع من معدات الحرب وصحفه تذيع فى صراحة أن قد صار الاتحاد أثراً بعد عين ؛ وهو يشى بالتفرقة ويحرض الولايات الجنوبية على الانسحاب بعد أن أعلن على

لسان المجلس التشريعي في ولايته أن لا صلة لهذه الولاية بالاتحاد

وما كان ارتياعه عن خور حين آذنت العاصفة بالهبوب ؛ ولعمري مايكون الخوف كل آونة جبناً ولاالدم كل يوم حلالاً . ثم لعمري مايكون الاقدام في كل موقف شجاعة، ولاالوثوب في كل مأزق بطولة ؛ وإلا فما أضيع الحكمة ، وما أتفه البصيرة ، وما أسخف الأناة ... وما كان يخاف أبراهام إلا أن تصيب بلاده فتنة تذهب بكل شيء

وإنه ليدور بعينيه في هذه المحنة يبحث عن الرجال الذين يشدون أزره فيرى — والأسى يرمض فؤاده — أن رجال حزبه أنفسهم لا يرون رأيه فهم يميلون إلى مصالحة أهل الجنوب وعلى رأس القائلين بذلك سيوارد ... ولكن أبراهام يعلن إليهم في ثبات عجيب أن مصالحة أهل الجنوب معناها التهاون في المبادئ والتسليم بانتشار العبيد والإعتراف بحقهم في اتباع القوة وفي الانسحاب من الاتحاد وهو لن يأمن أن يعودوا إلى ذلك في أي وقت ؛ فيسمعون ذلك ولكنهم لا يعقلونه ويحملونه كل ما عساه أن يترتب على موقفه من مصائب

والنذر لا تني تأتي من الجنوب بما يقلق المضاجع ويزعج النفوس ، فها هي ذي ست ولايات أخرى تنسحب من الاتحاد وتنضم إلى كارولينا الجنوبية فتؤلف من بينها اتحاداً جديداً تختار لرياسته جفرسون دافيس ... وهكذا يصبح في البلاد حكومتان ! وهكذا ينهار البناء حجراً بعد حجر والرئيس الجديد ما يزال في سبرنجفيلد يشهد ما تفعل العاصفة

ويحمل البريد إلى ابراهام كل يوم آلافا من الرسائل بينها نوع جديد تنفر منه نفسه ، بينها نوع ملؤه الوعيد والسباب وتفصيل صور الموت التي تنتظره إن هو مضى فيما هو فيه وأصر على عناده ؛ وهو يطوي تلك الرسائل ليلقي بها في النار مخافة أن تقع عين امرأته على صور الخناجر التي تتوج الكثير منها ...

ويتطلع ابراهام في هذا المأزق الشديد إلى وشنجطون ليرى ما عسى أن يفعله بيوكانون الرئيس القائم ؛ ولكن بيوكانون لا يتحرك فتزيد بتهاونه النار اشتعالا ثم يصرح بأنه إذا لم يكن للولاية حق الانسحاب من الاتحاد فليس لحكومة الاتحاد حق ردها إليه بالقوة إذا هي انسحبت فيكون بتصريحه هذا كمن يلقي الحطب على النار حين يجدر به أن يلقي عليها الماء ... ! وتشيع الخيانة في وزرائه فيرسلون الرجال والمال إلى الولايات الجنوبية ويستقيلون ...

ويشتد عدوان أهل الجنوب وقد اتخذ الاتحاد الجديد هناك دستورا جديدا يقر نظام الاستعباد ويعلن أنه أمر مشروع من ناحيتي الدين والخلق ونظام الاجتماع ... ويعظم هياج العاصفة ويشتد دويها ...

وإبراهام في سبرنجفيلد كالسنديانة العظيمة لا تهز العاصفة إلا فروعها ، ولن يصيب الجذر مصيبة إلا أن تزلزل من تحته الأرض فتشقق فتميد ... يخوفه سيوارد عاقبة الأمر فلا يحجم ولا يلين ؛ ويسخط أهل الشمال أنفسهم على إبراهام ويظنون به الظنون ، ولكنه يقول ذات مرة لرجل ممن يحاورونه « اذهب إلى شاطئ النهر وخذ معك غربالا متيناً فاملأه بالحصى ؛ فسترى بعد هزات قوية أن الرمل وصغيرات الحصى تنفذ من الثقوب وتتوارى عن الأعين إذ تضيع على الأرض ، وتبقى في الغربال الحبيبات التي تزيد عنها حجما إذ أنها لا تنفذ من بين الخيوط ... وبعد هزات أخرى متكررة يتبين لك أنه من بين القطع الباقية في الغربال تصل كبرياتها إلى القمة ، وهكذا فإنه إذا لم يكن من الحرب بد وأن هذه الحرب سوف تهز البلاد من وسطها إلى جوانبها فانك ستجد صغار الرجال يتوارون عن الأنظار في هزاتها، وبينما ترتكز الكتل على قواعد ثابتة ويرتقي أكابر الرجال إلى القمة ؛ ومن هؤلاء يبرز أعظمهم فيكون منه قائد القوم في الصراع القائم ... »

هذا هو العزم الذي لا يعرف التردد ، ولكن من وراء هذا العزم نفساً شاعرة وقلباً يحب الخير وينأى بجانبه عن الشر وينفر بطبعه منه ؛ وما كانت هموم نفسه إلا بما يريد أن يدفعه عن بلاده من شر ويل فهو لا يهمه أن يذوق الموت بعد أن وطد على الجهاد عزمه ووهب إلى بلاده نفسه ...

ها هو ذا قد وصل في بلاده إلى القمة فهل ابتغى من وراء ذلك جاهاً أو تلهى بالعرض عن الجوهر ؟ هل تنفس الصعداء واستكان إلى الدعة وجعل من المنصب متعة وغرورا ؟ كلا فها هو ذا يجعل من وصوله إلى هذه المرتبة مبدأ مرحلة جديدة

في جهاده المرير ... وإنه ليحس أنه هالك في هذا الجهاد ولا محالة فني نفسه من المعاني ما يشير إلى ما سوف يلقاه من خطوب وويلات ... تحدث هذا الصنديد الجلد إلى صديق له بعد فوزه بالرياسة بسنوات بصف ما كان يهجس في خاطره عقب ذلك الفوز فذكر أنه نظر يومئذ ذات مرة ، وقد جلس متعباً على مقعده، إلى مرآة أمامه فرأى فيها لوجهه صورتين فهب من مكانه يستوثق من ذلك فامحت الرؤيا ولكنها عادت كما كانت حين عاد فجلس ؛ وكانت إحدى الصورتين تخالف الأخرى في أنها تبدو مصفارة مخيفة . ولقد أوجس إبراهام خيفة في نفسه ؛ ولم يكن خوفه مما رأى في ذاته بل لما انبعث منه في نفسه من المعاني . ولقد تكرر ذلك النظر بعد أيام ثم انقطع على رغم محاولاته أمام المرآة ... أما امرأته ففسرت ذلك بأنه سيختار للرياسة مرة أخرى ثم يموت في تلك المرة ؛ يا لله ما أعجب نبوءات هذه المرأة !.

وكأنما كان صاحبنا يحس ما يخبئه له الغد من مكروه فهو يقدم في عمله على علم بما وراءه ولذلك لا يتهيب ولا ينكص ، يحذر ويتدبر أن تصيب بلاده دائرة ...

وظل يمني نفسه أن يثوب أهل الجنوب إلى رشدهم فتخشع للحق قلوبهم ، ولكنهم في شطط من عنتهم وغرورهم . فها هي ذي الأنباء تأتي بجديد من كيدهم ، وبيان ذلك أنه كانت لحكومة الاتحاد حصون في الولايات الساحلية بها جند تحميها وكان من تلك الحصون في كارولينا حصنان أهمهما حصن سمتر ، فأرادت كارولينا أن تستولي على الحصنين لتتم سيادتها فلم تفلح إلا في أحدهما ، وكان ذلك عقب إعلان انفصالها

واحتمى الجند في حصن سمتر وأرسلوا إلى الرئيس بيوكانون أن يمدهم بالمؤن والذخيرة ، فلم يستطع بيوكانون أن يصم أذنيه عن هذا الطلب وأرسل سفينة تحمل المؤونة والرجال ولكن أهل كارولينا أطلقوا عليها النار في ميناء شارلستون وأجبروها على الرحيل ... وطلبت حكومة الاتحاد الجنوبي تسليم حصن سمتر فرفضت الحامية بقيادة القائد اندرسون أن تسلم ، فضرب عليها الحصار ... وبات في الواقع أهل الشمال وأهل الجنوب في حرب

وعاد سيوارد يلح على ابراهام أن يتفق أهل الشمال مع أهل الجنوب على شروط تخفف من غضبهم ، فرفض ابراهام ذلك وأعلن أنه مصر على الرفض مهما يكن من الأمر ... ولما يئس سيوارد من إقناعه عرض عليه أن يزحف على العاصمة في جيش من المتطوعين ويأخذ بيده زمام الأمور من بيوكانون قبل أن يستفحل الشر فرفض ابراهام أن يفعل ذلك لما فيه من خروج على الدستور ...

وازداد الموقف خطورة حين ترامى إلى سمع لنكولن أن كثيراً من الناس يودون لو ينسحب ويدع تقرير الأمور إلى رئيس غيره من جديد ... ولو أن رجلا غيره في موقف مثل موقفه هذا لخارت عزيمته ، وانكسرت نفسه ، ولكنه ما وهن ولا استكان وما زادته الشدائد إلا صبراً وعزماً ولا المحن إلا رغبة في الجلاد والنضال ...

وجلس يختار مجلس وزرائه فعظمت حيرته ووقع اختياره أول ما وقع على سيوارد وقد وقف إلى جانب إبراهام بعد أن رأى من ثباته ما لم يتعلق به من قبل وهمه ، ورضي سيوارد بادئ الرأي أن يعمل معه في مركز يعادل مركز وزير الشؤون الخارجية في الحكومات الحالية مضافاً إلى ذلك أنه كاتم سره ومستشاره وحامل أختامه .. وأخذ إبراهام يبحث عن غيره ممن يأنس فيهم الكفاية في مثل هاتيك الشدة ...

وجال إبراهام جولة في البلاد التي قضى فيها صدر شبابه ، وزار من لا يزال على قيد الحياة من أهلها ، وحج إلى قبر والده وأوصى أن يعنى به ، وبعد أن قضى أرب مشاعره ولبانة قلبه عاد إلى سبرنجفيلد ليودع أهلها قبل رحيله إلى وشنجطون ...

ولما أزف يوم الرحيل لاحظ على وجوه أهل المدينة شيئاً مثل ذلك الذي يبدو على وجه من يوشك أن يرحل عن وطن اشتد حبه له وعظم تعلقه به ، ولقد زاده هذا تحولا على تحوله وهماً على همه ، وكذلك اشتد أسف الناس فهم لا يدرون كيف يصبرون على رحيله عن مدينتهم ولقد كان لصغارهم الأب العطوف الرؤوف ولكبارهم الصديق الوفي ، والناصح الأمين . ولكنهم يتأسون عن فراقه بما باتوا يأملونه من خير للبلاد جميعاً على يديه

« يتبع » محمود الخفيف

بين العقاد والرافعي

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٤ —

لا يزال صاحبنا « النمراوى » ماضياً فى طريقه ، عند السفح من مدارج الاحساس والفن والحياة . وما يزال يظن المسألة ردوداً ومحالا . بينما نحن لم نرد إلا أن ينتفع هو وأمثاله ومن هم خير منهم كذلك بما نكتب ، وأن يخرجوا قليلا من ذلك الطابق المغلق الذى ينزوون فيه ، إلى عالم النور والطلاقة والفن الجميل ، المتحرر من القيود والقشور ، فيحسوا — ولو مرة — دفعة الحياة ، وطلاقة الفن ، وفسحة الشعور . ومن حسن الحظ أن يكون الحديث اليوم عن « غزل العقاد » فليحاولوا أن يثبوا ونحن نأخذ بيدهم إلى هنا « العالم » العبقرى الفسيح . وإلا فليعذرونا إن نحن جاوزنا الجحور والمغاور ، إلى المرج الواسع ، أو العيلم المسجور !

الاحساس الساذج الفطرى بالحب قريب فى منبته من إحساس الجوع والظمأ ، ومطلب قريب لا يعلو كثيراً على مطالب الجسد ؛ والمتعة فيه غذاء من أغذية الدم واللحم ، والحرمان نوع من المخمص والطوى ، والآلام لون من وخز الجلد أو لذع النار ، أو لفحة السموم . والتعبير عن كل ذلك شبيه بالضحكة والصرخة والآهة والأنين ، من أنواع التعبير الفطرى عن اللذة والألم

والشاعر حين يقف فى إحساسه بالحب ، أو التعبير عنه ، عند هـذا الحد لا يستحق منا لقب الشاعر — بله الشاعر الكبير — وهو لا يستحق هذا اللقب ، حتى يكون له فى حبه منحى خاص (ليكون شاعراً) وفلسفة شاملة تجعل من هذا الحب مجتمعاً للأحاسيس الفريدة بأعماق الحياة وأصولها وتتصل بوشائج الطبيعة الكبرى ، وغاياتها البعيدة ، وأعماقها الأصيلة (ليكون شاعراً كبيراً)

فليس الحب الفنى ، ولا التعبير عنه من السهولة كما يتصورها الكثيرون من ناشئة الشعراء ، ومقلدي النقاد ، إنما هما عمل عسير فى الاستيعاب والتصوير ، وما نقرأ لتسعين فى المئة من الشعراء ، إلا ضحكات وابتسامات أو صرخات وآهات ، يحسبونها غاية الحب وغاية التعبير !

لا تقل : إننى أحب ؛ وإننى أستمتع بالحب ، أو أتعذب وأتألم ثم تحسب نفسك شاعراً ، حتى تقول لنا : إننى أحب على لون خاص ، وأستمتع بالحب بطريقة خاصة ، أو أتعذب وأتألم على لون من ألوان العذاب والآلام . ولا تقل : « أنا أطلب الجمال » وتسكت فلا بد أن تبين لنا ما نوع الجمال أو أنواعه التى تستهويك ، وما المعانى التى يشمها فيك هذا الجمال ، وما ذا تفهم من الصلات بينه وبين غايات الحياة الكبرى ، وما ذا بينه من الوشائج وبين الطبيعة فى كيانها ومراميها

والعقاد وحده فى الشعر العربى كله هو الذى يقول لنا هذا فى عمق ودقة وقصد ، ويصوره بأوضح وأصح ما يستطاع . وأقول « فى الشعر العربى كله » وأنا أعنى ما أقول ، فما يوجد شاعر واحد يجتمع له فى شعره العربى ما اجتمع للعقاد ، وتتوفر فى نفسه هذه الأوتار المتعددة ، التى يوقع عليها الحب هذه النغمات كلها ، ويخرجها هكذا واضحة سليمة

نعم ، يوجد بعض هذه الأوتار ، متفرقاً فى نفوس الشعراء ولكنها لا تجتمع هذا الاجتماع ، ولا تلتئم هذا الالتئام فى نفس واحدة ، وما يوجد منها متفرقاً لا يبلغ فى تفرده وخصوصه وطرافته هذا المبلغ عند أولئك الشعراء

فاذا خطر لأحد أولئك الذين يفغرون أفواههم لسماع هذا الكلام ، ويستنكرون تقرير الحقائق وليس لهم من البرهان على إنكارهم إلا إشارات الصم البكم ، فليأتوا بنظائر لكل هذه الأوتار والنغمات لشاعر عربى واحد حتى الآن ، أو لعشرة مجتمعين فى جميع العصور

* * *

وقبل أن نعرف « ما الحب » عند العقاد ، لا بد أن نعرف « ما الجمال » الذى يثير هذا الحب ، ويدفعه إلى الغزل والتعبير

عرف القراء مما نقلناه عن رأى « شوبنهور » فى الجمال ، وتعليق « العقاد » عليه ، أنه يرى الجمال فى « الحرية » وفى العدد الثالث من الرسالة توضيح لهذا الرأى حين يقول :

« رأيى فى الجسم الجميل أنه الجسم الذى لا فضول فيه ، وأنه

الجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه غير محمول على سواه

« من هنا جمال الرأس الطامح والجيد الشرئب ، والصدر البارز ، والخصر الرهف المشوق ، والردف المائل ، والساق التي يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها ، أنها لا تحمل شيئاً من الأشياء ولا تنهض بعبء من الأعباء »

ويقول من الكلمة نفسها في وصف فتاة :

« على شاطئ الاسكندرية ـ والصادفة من أجمل الصادفات ـ طيارة في الهواء ، وفتاة على الأرض هي أولى بالطيران من تلك الحديدة الصاعدة ، بل هي تطير ولا يتخيلها الناظر إلا طائرة ، تفلت من لحظات العيون ، وخطرات الأرواح

« لا تحس العين أنها أدركتها ، لأنها إذا أدركتها تأملت فيها ، وسرحت في معانيها ، فاذا هي بعيد بعيد ، أبعد من الفراش الذي يقع عليه الطفل ، فاذا هو على الغصن ، ويثب إليه في غصنه فاذا هو في الهواء »

وقد عثرت أخيراً في الديوان على امتداد لهذا الرأي ، يريد أن تبلغ الحرية بالجمال ألا يشعرنا حين ننظره بتعلقنا وتقييدنا به ، بل يطلقنا نسبح في الآفاق ، ونسمو على الحدود والقيود

والجميل الحق ما يذهلنا عنه ، لا ما فيه للحس إسار

والجمال عوض عن شين كثير من النفوس في هذه الحياة ، وتكفير منها عن هذا الشين ، كما أنه رمز لآمال الحياة في مستقبلها الموموق ، تشير به إلى ما يختلج في صدرها من الشوق للكمال :

أغلى جمالك في النواظر أنه عوض لشين في النفوس كثير
وأماله منا المفادة أنه في الأرض رمز كمالها المحظور

وفي الجمال غناء عن الدنيا كلها ، وهو نعيم قريب كالنعيم المتخيل في الآخرة كذلك ، فهو نعيم الدنيا حين يقول :

إن نفوني اليوم من دنياهمو وأباحوا لي من الزاد المرام
ثم قالوا ما تشأ منها فخذ قلت : هذا . وعلى الدنيا السلام
قلت : هذا ، وتطلعت إلى هوة الغيب وفي الثغر ابتسام
كيف لا يبسم من قبلته تنظم الأوطار طرا في نظام ؟
وإذا قبلته مستضحكا في تخوم الكون والكون سدام
فهو سخرى بالذي ودعته واغتباطي بقائي حيث قام

وهو نعيم قريب كنعيم الآخرة البعيد حين يقول :

أيها الباحث عن كوثره في السموات . لقد شط المزار
إنما الكوثر ثغر باسم من حبيب لك مأمون النفار

والوجه الجميل ، هو « الصدق » في هذه الحياة ، الذي ينفي عن النفس الريب والشكوك فيها

لك وجه كأنه طابع الصد ق على صفحة الزمان النثوف
إن يوماً يمر بي لا أراه هو يوم أعده في الزيوف

وهو كذلك داعية الرجاء في هذه الدنيا ، ومنبع التفاؤل والقبول :

أرى لك أنت فلسفة صراحا بلمح العين أقرؤها جميعا
أذم العيش في ألفي كتاب وتمرض لي فأمدحه سريعا !

والجمال هو الفضيلة ، أو الفضيلة هي الجمال :

شرعك الحسن . فما لا يحسن فهو لا يحلو وإن حل الحرام
ليس في الحق أثام بين غير مسخ الحسن أو نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن فاستبحه وعلى الدنيا السلام

ولهذا يحلل الجمال كل شيء ، ويمنحه الفضيلة والعفة والثناء :

كل الثياب لمن يزين ثيابه عف حميد !

والجمال حرم مقدس يحترمه الخصوم والأصدقاء ويلقون لديه السلاح حيث لا تصنع ذلك المعاهدات و « عصبة الأمم » والشرائع والقوانين :

حرم بميدان الحيا ة وملجأ لا يعتسف

والجمال الانساني يرقرق جمال الكون ويصفيه ، ويظهره خلاصة نقية :

لا أرى الدنيا على نور الضحى حبذا الدنيا على نور العيون
هي كالراووق للنور فلا نور إلا صفوها العذب المصون

وهذا الجمال خلاصة جمال الدنيا ، وخلاصة تجارب الحياة في مثل الكمال . وله في هذا قطعتان بارعتان : الأولى بعنوان «نشوء وارتقاء» ، يتحدث فيها عن جميل كان مولده في الشتاء :

زانك الله بصفو وسلام يا شتاء
طال بي فكر الليالي أو ما فيك عزاء ؟

* * *

قال لي : هاك فخذها زهرة مني إليك

ذات حسن وحياء … ولها فضل لديك
وسمت بالفكر فاقبس[1] … فكرة في راحتيك
قلت : حقاً يا شتاء … هي حسن وحياء
غير أني وهي صمت … ليس لي فيها عزاء

***

قال : يرضيك إذن شا … دٍ من الطير مجيد
هو للجنة يدعى … وله منها نشيد
يعشق الليل وإن لم … يك فيه بوليد
قلت : حقاً يا شتاء … هو حسن وغناء
غير أني وهو صوت … ليس لي فيه عزاء

***

قال : يرضيك إذن سا … رٍ من البرق بشير
يصدع الظلماء ، يزجي … عارض الغيث ، ينير
فيه من قلبك نبض … ومن اللمح سمير
قلت : دعني يا شتاء … من شعاع في فضاء
أئذا جاد بغيث … كان لي فيه عزاء ؟

***

قال : والشمس فما ظنـك بالشمس ذكاء ؟
كلما عدت بها سبـ … ـح عشاق السماء
قلت : حقاً يا شتاء … هي نور ورجاء
غير أني وهي صبح … ما عزائي في المساء ؟

***

قال لي: أنفدت كنزي … كله بين يديك
غير ذخر من بني الانسـ … ـان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليـ … ـل قصارى غايتيك
أتراه ؟ قلت : حقاً … هو في الدنيا العزاء
هو حب وحيـاة … وربيع يا شتاء !

***

من بني الانسان في ذا … ت شتاء ولدا
زينة للعين والا … ب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا … ء صاف كالندى
كنبات الروض مفتـ … ـن الحلي جم الحياء
وارف كالظل يحيى … في شذاه كالهواء

***

يا شتائي فيم إخفا … ؤك هذا السر عني
أي روض أي برق … أي شمس فيك أعني
أنا مستغن به عن … ما فماذا عنه يغني ؟
قد تملت وأيقنـ … ـت أفانين السخاء
منذ عشرين وخمس … من سني الدهر سواء

***

تم عندي كل ما تمـ … ـلي إذا تم العطاء
وجميل كل بدء … ينتهي خير انتهاء
وجميل زهرك النا … مي على هذا النماء
صدق العلم وقال الـ … ـحب حقاً يا شتاء
سنة الزهر نشوء … في المعاني وارتقاء

هذه قطعة لا أجدني مضطراً لشرح ما فيها من الجدة والطرافة ، فوق الدلالة على فكرتها المقصودة ، وفوق تناسقها الفني مع طبيعة الشتاء التي لا تمنح ذخرها إلا ذرة ذرة على ضن وبخل . فمن لم يحس هذا كله بمجرد قراءتها ، فخسارة ألف خسارة أن نضيع الوقت في أن نخلق له إحساساً وما نحن بقادرين . وأما الثانية فبعنوان « الثوب الأزرق » وهي كزميلتها في الطرافة البارعة :

الأزرق الساحر بالصفاء … تجربة في البحر والسماء
جربها « مفصّل » الأشياء … لتلبسيه بعد في الأزياء
جوّد الاتقان والرواء … ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزبد الوضاء … زينته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسيماء … ولمة البنين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء … وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء … يخطر فيه زينة الأحياء
مُقَبَّلٌ مبتسم الأضواء … مردد الأنغام فالأصداء
وقبلة منه على رضاء … غنى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء … وعنك يادنيا بلا استثناء

(١) زهرة « البنسيه » أي الفكرة

وغير هاتين القصيدتين كثير من الحديث عن هذه الفكرة الصحيحة الطريفة مثل :

وكل ما في الكون من روعة ... لما نظير فيك حيّ جديد
بل أنت دنيا غير هذي الدنى ... وكل حب فيك كون وليد

ويقول عن القماريّ :

وللأناسي حسن لا أبوح به ... هل تعرف الطير ما حسن الأناسي
غنت لزهر وسلسال ولو رشفت ... ثغر الباسم جنت بالأغاني

فذلك فالكون حتى بهذا الجمال الانساني نخور به :

فلو لم نول القلبَ شطرك لامنا ... على الجهل كون بالجمال فخور

ويتضح هذا في قصيدة « عيد ميلاد »

تهيأ الكون من قديم ... ليوم ميلادك السعيد
فعابد الكوكب العظيم ... أحيى بيشراك يوم عيد
ومولد « السيد » الرحيم ... وافقه المولد الجديد
يوم تهدّى على المديح ... وزنه الخلد بالثناء
فالدهر في عمره الفسيح ... عوّده البشر والهناء

والإله حقّ كذلك بهذا الجمال ، فقد تبارت الشفاه في مزاياها ، وتقدم جبابرة العالمين يُدلون بقوتهم ونادى العبقرون الملهمون بمزاياهم :

وأقبل سرب الظباء الملا ... ح رخيم البغام مليح الكحل
فقال وفي قوله لثغة ... كأنك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجال الكلا ... م لنا القول فيكم رجال العمل
لمستا شفاها ففاضت سنى ... وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تذوقون طعم الحيا ... ة وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها ... رحيق الخلود وريا الأمل

فما ذا تظنه كان رأى الإله الذي جلس ليحكم في المباراة ؟

فأطرق ربهمو لحظة ... ونادى بأقربهم فامتثل
وقبّل مبسمه قبلة ... تضرم منها مكان الخجل
وقال : أجل ! تلك أغلى الشفا ... ه فأصغوا جميعاً وقالوا : أجل !

ومتى برز هذا الجمال الانساني ، فقد بطل كل جمال ، حتى نظم الشعر الذي يعتز به العقاد ، فهو يخاطب « جيرة البحر » بعد أن ساهمن « المعاني الحية » وبعد أن قال لهن : إن الإله والبحر والشمس وهبوا لهن هبات وافرة :

ورأيت رفرفة النسيـ ... ـم على الجسوم الطائرة
فالآن ماذا تنظرون ... من النفوس الشاعرة
لم يبق في كنز الخيال ... بقية من نادرة
برزت معاني الشعر في ... ثوب الحياة الظاهرة
أنتم معانيه فما ... تغني النفوس الحائرة
أنتم عرائسه وها ... تيك المسارح عامرة
هيهات ما لمثل ... أو شاعر من خاطرة
ما الترجمان وتلك أسـ ... ـرار التراجم سافرة
فإذا بخلنا بالقصيـ ... ـد فعاذر أو عاذره

ومتى كان ذلك شأن الجمال الإنساني البارع ، فهو يخاطب جميلا :

يغنيك حسن أنت لابس تاجه ... عن دولة السفاح والاسكندر

وما على الفنان إذن إلا أن يسمع نصيحته الشاعرة :

قسم حياتك بين حسن بارع ... يذكي الحياة وحكمة تنميها
ما في سوى الحظين من أمنية ... للمرء ينشدها ويستبقيها

وإنه ليعيش هكذا ؛ وقد فهم الجمال ، وعرف صنوفه ، ولاحظه في كل جميل ، وانتهى فيه إلى رأي ، وعلم غاية الحياة منه وقصد الطبيعة فيه ، على هدى وبصيرة

***

هذه أبيات متفرقة أو قصائد كاملة عرضناها عرضاً سريعاً وهي ليست كل شيء في ديوان العقاد من مجرد « تعريف الجمال » عنده ، وهي وحدها ذخيرة نفسية وغزلية ، لو قالها شاعر وسكت ، لكان شاعراً كبيراً ممتازاً ، وهي مع ذلك نصف « المقدمة » للكلام عن « غزل العقاد » !

وما من شك أن الإحساس بالجمال هكذا ، عمل متعب عسير ، غير ميسور لكل الطبائع ، وهو في حاجة إلى طبيعة عميقة ، ونفس فسيحة ، وشعور واغل في قلب الحياة ، يسمع نبضاته ، ويحس آماله ، ويستشعر أشواقه ، ويشاركه خفقه وهو ينبض بالجمال

وقد استغرق هذا حديث اليوم كله ، فأما رأي العقاد في « الحب » فسأتناوله في حديث آخر ، وحينئذ نخلص إلى « غزل العقاد » في هينة واطمئنان

(حلوان) سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٥ —

لقد أخذنا على كاتب مقالات « بين العقاد والرافعي » أنواعاً من الأغلاط ذكرنا لكل منها أمثلة عدة دون استقصاء . فهناك أغلاط اضطراب في التفكير كالتي ذكرنا في كلتنا الثانية؛ وهناك أغلاط جور ومحاباة كالتي عددنا في كلتنا الثالثة؛ ثم هناك أغلاط ضعف في الفهم أخطأ بها الكاتب لب الموضوع كالتي فصلنا في الكلمة الرابعة . وكلها تدل دلالة واضحة على أن كاتب تلك المقالات لم يكن فيها يفكر بعقله وإنما كان يفكر بهواه

إلا أن أغلاط التفكير بالهوى ليست كلها في الدلالة أو في التبعة سواء . فإن ذا الهوى المتعصب لمذهب أو لكاتب قد يتأثر عقله بعصبيته وهواه من حيث لا يدري، فيقع في الخطأ من حيث لا يقصد، وتكون آثار الهوى والعصبية ظاهرة في كتاباته وأحكامه لكل إنسان سواه هو ومن لف لفه . مثل هذا لا تزيد الهوى والعصبية على أن يفسد عليه تفكيره فتصبح أفكاره وآراؤه وأحكامه غير ذات قيمة، ولكن من غير أن يحمل في ذلك تبعة خلقية تذكر

أما إذا تأثر ذو العصبية والهوى بعصبيته وهواه إلى الحد الذي يشعر بأثرهما في رأيه وحكمه ثم لا يقاومهما مقاومة مجدية ولكن يتابعهما ويطاوعهما فيما يوحيان إليه من إخفاء ما لا يوافقهما من الحق ، وتحريف ما يخالفهما من الواقع ، فإنه عندئذ يكون قد جمع على نفسه ضعفين : ضعف العقل وضعف الخلق ؛ وتحمل في سبيل هواه تبعتين : تبعة الخطأ وتبعة سوء النية فيه .

وقد كان فيما نبهنا إليه بالفعل من أغلاط ذلك الكاتب غلطتان لا يمكن حملهما على مجرد الخطأ العقلي . وقع في أولاهما حين أراد أن يعتذر عن تغيير رأي كان ارتآه ، فيه بعض مدح للرافعي ، ووقع في أخراهما حين أراد أن يعتذر عن سوء فهم لبعض ما قال الرافعي نبهه إليه الفاضل الفلسطيني على كال . وقد اعتذر في كلا الموقفين بما يخالف الواقع : إعتذر في الموقف الأول بأنه لم يكن حدد نوع الذهن حين قال إن الرافعي أديب الذهن ، والواقع أنه كان حدده تحديداً واضحاً ، وحدده ينفي بعض الأقسام التي قسم إليها الذهن عند اعتذاره ذلك . واعتذر في الموقف الثاني باضطراب وقع خطأ في ترتيب الجمل التي عبر بها عن رأيه ، والواقع أنه لم يكن في ترتيب جمله تلك أي اضطراب ، ولم يكن له عذر في مخالفته الواقع في ذينك الموقفين ، لأنه كان يستطيع الاستيثاق مما قال أو كتب بالرجوع إلى ما كان قد خطه قلمه في موضعه من كلامه إن كان ضعف الذاكرة هو الذي جعله ينسى حقيقة ما كان قد كتب ولم يكن قد مضى عليه أكثر من أسبوعين . لكن الذي به ليس هو ضعف الذاكرة ولكن صعوبة أو استحالة يجدها في الاعتراف بحق إذا كان عليه ، فاعتذر بما اعتذر به رغم مخالفة الواقع اعتماداً فيما نظن على أن القراء يقل فيهم من يكلف نفسه عناء مضاهاة ما زعم بما وقع منه بالفعل

لكن هاتين السقطتين ليس لهما فوق دلالتهما النفسية أية أهمية ذاتية إذ هما منه وإليه . هو أخطأ وهو يجتهد في ستر خطئه عن الناس ولو بشيء من التوسع في تحديد الصدق . فإذا كان قد فارق الصدق بهذا فالضرر لاحق به هو لا بغيره . أما إذا كان ضرر ذلك يعود على غيره من قريب أو من بعيد فإن وجه المسألة يتغير بقدر ذلك . ويصبح وجه المسألة أشد تغيراً إذا كان الذي يتناوله بالتحريف والتلفيق كلام غيره لا كلامه هو . أما إذا كان الكلام المحرف أو الملفق هو كلام شخص يكرهه قد تصدى هو لنقده وكان التحريف والتلفيق من شأنه أن يؤذي الشخص المنقود كما وقع للرافعي ، فإننا عندئذ نصبح أمام مسألة جديدة تتعدى الإنصاف في النقد إلى الأمانة في النقل ، وتتجاوز الخطأ في الرأي إلى التدليس العمد وإلى محاولة النيل من الخصم في النقد الأدبي عن طريق غير شريف

ومقالات « بين العقاد والرافعي » لم تبرأ من هذا العيب . ولعلنا كنا نغفو فلا نتنبه إليه لولا غرور ومكابرة يبدوان فيما يكتب صاحبها ، ولولا أن صاحبها جعل من الفروق الأساسية بين مدرستي « الرافعي والعقاد » امتياز الثانية على الأولى بما سماه

« الصدق الجميل » من ناحية ، وتصحيح الأمزجة والنفوس بالأدب وللأدب من ناحية أخرى . فنحن مضطرون إلى تبيين ظاهرة كالتي أشرنا إليها ، لا لأنها من الواقع فحسب ، ولكن وفاء بحق النقد واختباراً لتينك الميزتين أمتحققتان هما في الكاتب كنموذج للمدرسة التي ينتسب إليها أم غير متحققتين

والزلات التي سقط بها الكاتب وجانب فيها الصدق يصح تقسيمها إلى قسمين : قسم يتعلق بتحريف ما كتب إخوان الرافعي عن الرافعي ، وقسم يتعلق بما كتب الرافعي عن نفسه ، وهو أهم الاثنين

ونحن إذ نتعرض لتحريف الكاتب بعض ما قال الأستاذان سعيد العريان ومحمود شاكر لا نريد بذلك أن ننصفهما ، فهما قادران على الانتصاف حين يريدان ، ولكن نريد أن ننصف الرافعي الذي استهان الكاتب على الاساءة إليه بتحريفه قول صديقيه ، متخذاً من قولهما المحرف شاهداً عليه

وأول ماياتي الناقد من هذا النوع من سقطات ذلك الكاتب تزيده فيما قال العريان في موضعين على الأقل في مقاله الأول : أولهما يتعلق برغبة الرافعي عن شراء « وحي الأربعين » وهي نقطة تافهة لولا أن صاحبنا المحلل النفسي مولع باستخراج الخطير من التافه . وثانيهما يتعلق بالبواعث التي دعت الرافعي لنقد « وحي الأربعين »

وقد قدم الكاتب بين يدي ما اقترف قوله : « إنما يعنيني اليوم ما كتبه الأستاذ سعيد العريان ! ففيما كتبه وهو أخص أصدقاء الرافعي مصداق لكثير مما تخيلته فيه » . ثم انتقل إلى تفصيل ما أجمل في هذه العبارة فقال :

« في إباء الرافعي أن يشتري كتاب وحي الأربعين مع حاجته لنقده ما يشير إلى ضيق الأفق النفسي الذي كان يعيش فيه ، وتصوير للون من الحقد الصغير قلما يعيش في « نفس » رحبة الجوانب الخ »

فأنت ترى كيف أجدت مطالعاته في مباحث علم النفس الحديثة هذه القدرة على استنتاج الخطير من التافه . وسنسلم له أن كل ما استنتج من ضيق الأفق النفسي والحقد الصغير أو الكبير ينتج من إباء الرافعي شراء كتاب وحي الأربعين مع حاجته لنقده . سنسلم له تلك النتيجة من هذه المقدمة ! لكن بقي أن نثبت المقدمة حتى تصح النتيجة وإلا كان هذا الرجل يفتري على الناس مرتين : يفتري الشتم ويفتري الأسباب إليه .

وقد اعتمد كما ترى في ثبوت هذه المقدمة على ما كتب أخص أصدقاء الرافعي ، سعيد العريان . فاذا صح هذا فله بعد ذلك أن يستنتج منها ما شاء طبق وحي قراءته الحديثة في علم النفس .

وواضح أن مدار الاستشهاد في تلك المقدمة ليس هو إباء الرافعي أن يشتري كتاب العقاد — فما نحسب العقاد ولا قطباً يشتريان شيئاً من كتب الرافعي — ولكن موضع الاستشهاد هو إباء الرافعي شراء الكتاب « مع حاجته لنقده » . فعبارة « مع حاجته لنقده » هي مدار الاستشهاد في الواقع . وعمدة قطب في إثبات هذه الحاجة عند الرافعي هو سعيد العريان

لكن سعيد العريان لم يقل شيئاً من هذا بل أخبر بعكس هذا ، أخبر في مقاله الخامس والعشرين (رسالة ٢٤٠) أنه هو حرض الرافعي على نقده « وحي الأربعين » انتصافاً لخلوف والمار الملوم ، وأن الرافعي أبى أولا ثم أجاب على شرط ألا يكون هو مشتري الكتاب « لأن عليه قسما من قبل ألا يدفع قرشاً من جيبه في كتاب من كتب العقاد ... ! »

ولسنا ندري متى أقسم الرافعي ذلك القسم ، وليس هذا يهم الآن ، إنما المهم أولا أن الرافعي لم ير حتى في رغبته في إرضاء صديق ما يبرر نكثه بذلك القسم ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الرافعي أقسم حين أقسم عن عقيدة ، واستمسك بذلك القسم حين استمسك عن عقيدة ، وهذا ضد ما ذهب إليه قطب في أن الرافعي كان يصدر في أدبه عن غير عقيدة . ثم المهم ثانياً أن الحاجة إلى نقد « وحي الأربعين » لم تكن بالرافعي ، ولكن بسعيد العريان . العريان حرض الرافعي على النقد كما ذكرنا ورغبته في رؤية الأديبين الكبيرين يتصاولان . لكن المسألة على هذا الوضع المتفق مع ما أخبر به صديق الرافعي ، ليس فيها شيء يشهد لقطب في شيء مما يريد . فماذا يفعل سيد قطب وهو يريد أن يستشهد لنفسه بصديق الرافعي على الرافعي ؟ ينقل حاجة العريان إلى نقد « وحي الأربعين » فينسبها إلى الرافعي ، ويترك الخبر بعد تحريفه منسوباً إلى العريان كما كان ، فيكون العريان بذلك هو الذي شهد على الرافعي ، ويتم لقطب مايريد من الاستشهاد.

ولا بأس فى ذلك على ما يظهر عند المدرسة الجديدة التى يمثلها سيد قطب ، والتى يعزها عن المدرسة القديمة مذهب « الصدق الجميل »

أما الموضع الثانى الذى تزيد فيه قطب ليستشهد بالعريان على الرافعي فقوله من نفس المقال :

«وفى البواعث التى تدعوه لنقد «وحى الأربعين» كما صورها صديقه ما يصور نظرة الرجل إلى النقد والأدب والغاية منهما ومدى نظرته العامة للحياة واتساع مداها فى نفسه ، وهو لا يبعد كثيراً عن المدى الذى تصورته له » وليس فى هـذه العبارة شيء حتى تأتى إلى آخرها فتنقلب دلالتها عندك ويصبح الرافعي المسكين بين صديقه وعدوه قد اجتمعا فى الجملة على تجريحه وذمه وكانها لا يكلف نفسه بها شيئاً ، فهو يلقيها دعوى عريضة ثم يتحقق بعـد ذلك من صحتها من شاء أو لينقضها من شاء ! أما هو فلا يكلف نفسه من إثباتها شيئاً ، ويكفيه أن ينتفع فيها بالايحاء النفسي معتمداً على تصديق القارىء إياه فيما يلقى فى روعه عن تصوير صديق الرافعي لبواعث الرافعي على نقد وحى الأربعين . وأكثر القراء حتى من أنصار الرافعي لا يجشمون أنفسهم اختبار صدق دعوى سيد قطب هذه بعرضها على ما قال العريان فى موضعه من فصوله فى تاريخ الرافعي ، فيمر أكثرهم وقد وقر فى نفوسهم شيء من هـذا الاتفاق ولو فى الجملة بين صديق الرافعي وعدوه على تجريح الرافعي

إنك تقرأ تاريخ نقد الرافعي وحى الأربعين فيما قصه العريان فى فصليه الخامس والعشرين والسادس والعشرين فلا ترى أساساً لهذا الذى يدعيه قطب ، بل ترى شيئاً ينقض فى صميمه دعواه هذه وينقض غيرها مما ادعاه . يعرض الرافعي على العريان ومخلوف أن يختارا أجود ما فى الديوان لينظر فيه ثلاثتهم فما اتفقوا عليه فيه جعلوه حكمهم على الديوان كله . وليس وراء هذا فى إنصاف خصم لخصمه فى الأدب مذهب . فلما استبطأهما فيما انتدبهما له قال « أحسبكما لم تجدا ما تطلبان ولن تجدا ... إذن فلنقرأ الديوان معاً من فاتحته فــا أحسب الشاعر يختار فاتحة الديوان إلا من أجود شعره ...! » وآخر قوله هـذا مظهر آخر لنفس الرغبة فى إنصاف العقاد وإن كان أولها يدل على عقيدته فى أدبه

ويستشهد لها ضمناً بإبطاء أديبين فى اتفاقهما على جيد فى الديوان ينتقيانه ، كأن الجيد الذى يتفق على جودته قليل فى ذلك الديوان. سيقال طبعاً إن هذا ليس بحكم يعتد به على الديوان ، فلو كان الأديبان الناظران فيه من المدرسة الجديدة لأسرع إليهما الاتفاق على جيد كثير . حسن . ولسنا نريد بما قلنا حكماً على الديوان ولكن نريد حكما على الروح التى نظر بها الرافعي وأخواه فيه ، وهى روح إنصاف ورغبـة فى إنصاف من غير شك على نقيض الروح الذى نظر وينظر به سيد قطب ممثل المدرسة الحديثة فى أدب عميد المدرسة التى يلقبها بالقديمة ولا يعجبه من أدبها ولا من روحها شيء

نظر الرافعي وأخواه فى ديوان العقاد ساعات طوه بعدها ، وأشار الرافعي على مخلوف فكتب ، وهاج به العقاد ساخراً منه ومن دار العلوم ، ولام مخلوفاً إخوانه على تهييج العقاد بدار العلوم ؛ وألقى العريان تبعة ذلك اللوم على الرافعي يريد تحريكه لنقد الديوان ؛ وتحرك الرافعي للنقد بعد تردد ، ولكنه بعد إذ عزم مضى لا يبالى بما كان للعقاد يومئذ من سلطان مكنه له الأدب السياسى لدى القراء ، ولا يعتبر إلا مذهبه فى الأدب وطريقته ، وسواء عنده أكان رأيه هو رأى الجماعة أم لا يكون ما دام ماشياً على طريقته ونهجه كما يصف العريان

أى شيء فى هذا يا ترى مما يمكن أن يؤخذ على الرافعي من قريب أو من بعيد ؟ لا شيء ! لا شيء يمكن أن يراه الناقد إلا ناقداً ينظر فى أعمال الرافعي بمجهر البغضاء ثم لا يرى إلا ما يصوره الخيال . إنها حكاية واقعية غير عادية تصور الرافعي أستاذاً فى مدرسته يلقى على تلميذين وزميلين له درساً عملياً فى النقد وفى ما ينبغى للناقد من نزاهة فى الحكم ، وتحرز من الهوى عنـد الخصومة ، وشجاعة فى المنازلة إذا لم يكن من المنازلة بد، وتضحية فى سبيل الغاية ، واستمساك بما يعرف أنه الحق . أما ما ارتآه العريان من تحفز كان بالرافعي لعراك العقاد فالعبرة فيه بأن ذلك لم يسرع بالرافعي إلى تحيف العقاد وظلمه فى ديوانه أو هضمه .

وفى رأينا أن هذا مظهر لفارق أساسى آخر بين المدرستين : مدرسة الأدب الأخلاقى، ومدرسة الأدب غير الأخلاقى اللتين تتنازعان توجيه الأدب الآن ، وهو فارق نعرف أثره فى كتابة

المنتسبين إلى كل من المدرستين ، نعرفه فى نزوع شاكر والعريان إلى الانصاف حتى من أنفسهما وصاحبهما ، وقد يغلوان فى ذلك أحياناً كما يشتد المدرس على ابنه التلميذ فى فصله مبالغة فى العدل بين طلبته ، ونعرفه فى نزوع سيد قطب إلى التزيد والتحريف والاسراف

أما شاكر فانه أيضاً لم يسلم مما أصاب العريان من تحريف لقوله فى الرافعى . وقد مثل معه سيد قطب حكاية عمرو مع أبى موسى من جديد . لكن يكفينا الآن ما كتبنا فى تبيين القسم الأول من مغالطات قطب وتحريفاتها لننتقل إلى تحريفه أقوال الرافعى وهو أهم القسمين

إن آخر مثال ضربناه فى المقال الماضى لسوء فهم قطب هو فى الواقع أول مثال لتحريفه كلام الرافعى ليستقيم له وجه الاستهزاء به والزراية عليه . فقد ضرب الرافعى بنهر الكوثر يجرى بين شاطئين من ذهب على أرض من الدر والياقوت مثالا للشعر الخالد المطرد يقوله الحب فى حبيبته ، فجاء قطب وقال إن الرافعى لا يتشكك فى أن نهراً يجرى بين شاطئين من ذهب على الدر والياقوت « أجمل » من نهر يجرى بين شاطئين من العشب الأخضر على أرض من الرمل والطين . ومهما تكن نتيجة المفاضلة بين النهرين عند المدرسة الجديدة من ناحية الجمال ، فان نتيجة المفاضلة بينهما من ناحية الخلود والاطراد ليست موضع شك عند أحد . ولو أخذ قطب الكلام على ظاهره لم يكن فيه مغمز يغمز الرافعى به ، فلم يجد بأساً فى أن يضع الجمال بدلا من الخلود والاطراد فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . ولو غير مدرس للغة العربية فعل هذا لالتمسنا له العذر عن طريق جهله بمعانى الكلمات على وضوحها وبساطتها فى هذه الحالة ، لكن سيد قطب إخصائى فى اللغة العربية وأديب وشاعر فلا يمكن أن يلتمس له العذر من هذه الناحية ، ولم يبق إلا أن يكون تعمد التحريف فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . فاذا ما أصر على ما فعل ، وعدها على الرافعى غلطة بغلطات تكبر « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » فى مثل زائر القاهرة الذى ضربه ليخلص إلى أن الرافعى « لم يحس الاحساس بجمال « الطبيعة بل... لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال » — إذا أصر قطب على زلته إمعاناً فى تشويه الرافعى عند القراء كما فعل فى مقاله الحادى عشر زاد ذلك فى شناعتها وسقط بها فى هاوية مالها من قرار

وإلى مثل هذا عمد قطب حين أراد أن يتكلم عن حب الرافعى ليثبت أنه لا يعرف ما الحب وأن ليس له قلب يقول الرافعى :

« نصيحتى لكل من أبغض من أحب ألا يحتفل بأن صاحبته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يغيظ امرأة . إنه متى أرخى هذه الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فإنها معلقة إلى قلبه فى هذين الخيطين من نفسه » . وهى قطعة مقتبسة من كتاب « رسائل الأحزان » وهو تاريخ حب للرافعى انقلب إلى بغض كما بين ذلك سعيد العريان فى فصوله لمن لم يكن قرأ ذلك الكتاب، فالقطعة تدور كلها وتتوقف استقامة معناها على كلمة « أبغض » الواردة فى أولها . لكن سيد قطب لما لم يجد فيها كما هى موضعاً لتهكمه ولا دليلاً على مزاعمه عمد إليها فحرف معناها بأن أسقط منها ما يؤدى معنى البغض وراح يصيح : « أرأيت ؟ — إن الحبيبة (بعد انقطاع الحب)(١) لا تتعلق بنفس من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له وغيظه لها ! ولا شيء وراء ذلك ! » ثم طفق يعلق على ذلك ماشاء له الحنق والبغض، وانتهى به الأمر فى مقاله الحادى عشر إلى أن يقرر فى غرور وتوكيد وإصرار : « فحين يقول الرافعى إن الحبيبة لاتتعلق بقلب حبيبها (بعد انتهاء الحب)(١) إلا بخيطين اثنين هما غيظها له وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستعدة لتلقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب » . وتستطيع أن تتبين مبلغ إسرافه بهذا الكلام على الرافعى إذا وضعت فيه بدلا من « بعد انتهاء الحب » كلمات تؤدى معنى الرافعى مثل « بعد انقلاب الحب إلى بغض » . هنالك يتضح مبلغ جناية هذا الرجل على الرافعى وعلى الحقيقة وعلى النقد بذلك التغيير الطفيف الذى أدخله على كلام الرافعى جرياً فيما يظهر على قاعدة « الصدق الجميل » الذى يفرق عند هذا الناقد الجديد بين مدرسة الرافعى ومدرسة العقاد ...

بقى مثال واحد ثم نغلق هذا الباب . انتقد الرافعى بيت العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن   كل موجود وموعود تؤام

(١) الأقواس من عندنا

بما انتقده به وأخذه على العقاد، وإن في لفظ شديد، أنه لم يحترس مما يدخل في عموم «كل موجود» مما لا يليق أن يكون في حبيبة محب ذي ذوق . وأراد قطب أن يسخف نقد الرافعي فزعم أن الرافعي قال إن «كل موجود هو البق والقمل والنمل ... الخ» ولو نسب إليه أنه قال : «إن من كل موجود كذا وكذا ... الخ» لكان كلاماً ظاهر الصدق ليس فيه موضع للتسخيف الذي يريده صاحبنا والذي لا يتأتى إلا إذا سقطت «من» الدالة على البعضية . فلم ير صاحبنا مانعاً من إسقاطها ! وهل هي إلا حرف ذو حرفين يتحقق بإسقاطه شيء من تصحيح الأمزجة والنفوس؟

وقد رد أخونا محمود شاكر هذه الغلطة من سيد قطب إلى أنه لم يفهم الفرق بين «من» في كلام الرافعي و «من» في كلام العقاد . ووددنا لو أن الأمر كان كذلك فإن عدم فهم الحرف أخف من تعمد إسقاطه ، لكن سيد قطب خريج دار العلوم وإخصائي في اللغة العربية يعلم منها تلاميذه كل يوم مثل هذا الذي يعتذر عنه محمود شاكر بأنه يجهله . فلم يبق إلا الاحتمال الآخر على ما فيه

تلك ثلاثة أمثلة حرف فيها صاحبنا كلام الرافعي تحريف الحاذق الماهر : تحريفاً طفيفاً من حيث اللفظ عميقاً من حيث المعنى ، ورتب على ذلك من النتائج الخطيرة ما لا ينتج من كلام الرافعي ، فهو قد تجنى على الرافعي مرتين : مرة بذمه ذماً بالغاً باطلا ، ومرة بتحريف كلامه لتبرير ذلك الذم . فصدّق بذلك وبأغلاطه الأخرى ما نبهنا إليه من قبل من انزلاق مخاصم الحق وتورطه في أغلاط ومهاو ما كان لولا معاداته الحق ليتردى فيها وينتقم بذلك من نفسه للحق أبلغ انتقام

محمد أحمد الغمراوي

اقرؤا الديوان الخالد

«هكذا أغنى»

للشاعر الفذ محمود حسن إسماعيل

صدر حديثاً . ويقع في ٢٥٠ صفحة من الورق الصقيل المزود بالشكل والتهاويل الفنية الرائعة

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ومكتبة النهضة المصرية وسائر المكاتب الشهيرة بمصر

ومن صاحبه بإدارة الشؤون العامة بوزارة المعارف

ثمن النسخة الواحدة ١٠ ص

الفروسية العربية

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(تتمة)

وقد روى لي سمو الأمير عبد الله الحادث التالي : عندما كان الملك الراحل الحسين شريفا على مكة : كانت السلطة على البدو بيده برغم حكم الأتراك ؛ وفي يوم من الأيام بينما كان الشريف مع ولده الشريف عبد الله سائرين وقافلة في الصحراء أراد الشريف أن يسبق القافلة ليختار محلا لاقامة الخيام — فذهب معه ولده حتى وجدا محلا مناسبا تحت شجيرات، وكانت بجانبهم إبل ترعى بحماية ولد وأخته الصغيرة ، وكعادة العرب سأل الشريف الولد إلى أي قبيلة ينتمون، فأجاب الصبي من البقوم، فقال له الشريف «ألا تخاف أن ترعى على حدود بني عتيبة الذين قد يأخذون إبلكم» وكان الصبي منبطحا على ظهره يلوح بقدميه في الفضاء فأجاب «أيها الشيخ المجنون البارد، أنت لا تفهم» فأجاب الشريف: قد أكون مجنونا ولكني لم أعرف السبب بعد . فأجاب الولد قائلا «ألا تعلم أنه ما دام الحسين على السرج فنحن لا نخاف الغارات» وعند هذا الحد أقبلت القافلة فعرف الولد أن الذي كان يكلمه هو الشريف حسين ، فخاف كثيراً ولكن الملك الراحل طمأنه وسر من هذه الشهادة غير المقصودة . وبقي كل سنة يطلب الولد وأخته إلى مكة ويعيدهما إلى أهلهما مع النقود والملابس .

لقد قلت إن إحدى صفات البدوي القيام بأعمال غريبة لإثارة الإعجاب — ومن ذلك عادة الجاهلية. يحدث أن يعتدى على شرف بدوي أو غير ذلك من الأمور التي تستلزم الترضية، يرفض البدوي الترضية التي يقدمها المعتدي ويصر على الأخذ بالثأر — وعندها يجتمع شيوخ القبيلة في شبه وفد يذهب إلى بيت المعتدى عليه، وبطبيعة الحال يقدم لهم طعاماً يرفضون تناوله قبل أن يعد بإجابة سؤلهم فيعد بذلك

وبعد انتهاء الطعام يشرحون فوائد الصلح إلى آخر ذلك فيتنازل البدوى عن حقه كاملا . فاتهام العرب بالطمع والجشع أمر تنقضه الحقائق، والقصص التي رويتها لكم قمينة باعطائكم فكرة صحيحة عن العرب والبدوى من هذه الناحية . إن إلحاح البدوى في طلب حقه غريب، ولكنك إذا ما التجأت إلى كرمه كقولك إعفني يا أخا فلانة — فانه يتنازل عن دَينه . ولعلنا لم ننس قصة هيرودس[1] مع ابنة شالوم التي طلبت أمنية أجابها إليها قبل أن يعرف ما هي تلك الأمنية ، وقد كانت رأس يوحنا المعمدان وقد كان هيرودس في شرق الأردن

الخلاصة

ولكي نجمع ما سبق نقول بأن الفروسية هي نظام حياة البدوي اليوى وأهم مميزاته :

١ — تمجيد الحرب المبني على أساس طلب العلى والقيام بأعمال البطولة لا بكسب المعركة والحرب

٢ — احترام يشوبه التنزل للمرأة المفروض فيها الأنوثة الكاملة والتممة للرجل مع عدم مساواتها له . والنظر إليها كتسلية للرجل والحكم على أعماله

٣ — الكرم ومساعدة الضعيف لأن هذه الصفات فرصة للقيام بأعمال غريبة تثير الاعجاب وتقرب من الخيال

٤ — وكنتيجة لهذه الصفات نشأت عادة التنافس بين الفرسان حتى أدى ذلك إلى نزاع داخلي في القبيلة

٥ — عدم الاهتمام بالمجتمع لتطلبهم المجد الشخصي

٦ — الفقر الدائم مع احتقار حياة العمل الشاق والبخل

ويعكس هذا نجد أن الصفات المميزة للحضر هي :

١ — كره الحرب والدفاع بشدة إذا ما هوجم . همه الأول ربح المعركة دون الاهتمام بالطريقة ، شريفة كانت أو غير شريفة

٢ — تطبيق النظرية القائلة بعمل الكل لأجل المجتمع

٣ — عدم الاهتمام بالمرأة وتكليفها بالأعمال الشاقة والنظر إليها كمصنع للأولاد ووسيلة للربح . وقد ترتفع منزلتها عند الحضر فتصبح مساوية للرجل ولكن ليست التممة له

٤ — نظرة الاعجاب إلى العمل الشاق المتواصل والعطش الشديد إلى جمع الثروة . ولهذا أرى أن نبعد عن أذهاننا نحن الأوربيين المعنى الخيالي الغرامي الذي يصوره لنا خيالنا عن كلمة الفروسية ، لأن الفروسية هي النظام الخاص لحياة البداوة الذي يميزها عن حياة الحضر

نظرية

إن كل بحث عن الشعوب القديمة يكون ناقصاً مملاً مدرسيا ما لم نحاول أن نربطه بحياتنا اليومية الحاضرة . لا مراء في أن الحضارة الرومانية هي أولى الحضارات التي غزت أوربا وقد كانت حضارة زراعية ، وتتكون نظريتهم عن الحرب في أن الفرد يجب أن يفنى في سبيل المجموع وأن الحرب خدعة . وفي القرن السابع ظهر الفتح الاسلامي حاملا معه روح الفروسية — روح الشرق — الروح التي تثير الاعجاب وتهيج النفوس. فغزت هذه الروح جميع البلدان التي اتصل العرب بها ، وانتشرت بين سكانها . ولكن إذا نظرنا إلى الفاشستية اليوم نرى أنها احتفظت بالروح الرومانية القديمة بل تطرفت بها وهذه الروح تتنافى مع الروح العربية — روح الفروسية

غزا العرب اسبانيا وفرنسا حتى تور فانتشرت بالبلدين روح الفروسية ، ومن فرنسا تسربت هذه الروح إلى انكلترا ولكنها لم تتعداها — وقد يكون هذا هو السبب في مقاومتنا لروح الدولة الكلية المتطرفة والتي هي عماد الدولة في كل من روسيا وإيطاليا وألمانيا وهي البلدان التي لم تتصل بها ولم تنتشر فيها روح الفروسية . فان صح هذا ألا يكون مبدأ الحرية الفردية الذي نتمسك به وندافع عنه هو تراثنا من العرب ؟ بالرغم عن التطورات الحديثة واتباعنا نظرية أن الحرب خدعة — فاننا ما زلنا نحافظ على روح الفروسية فيما نسميه اليوم « الألعاب الرياضية »

إننا نخطئ خطأ فاحشاً إذا ما ظننا أن العرب كلهم بدو . فأكثر العرب اليوم مقبلون إقبالا عظيما على درس الحضار

---

(١) إن هيرودس كان عربياً وليس يهودياً — بل كانت أمه يهودية « المعرب »

والمدنية الأوربية برغم نظام الفردية بينهم — وقد لا تمضى فترة قصيرة حتى نراهم يسيرون والأوربيين جنباً إلى جنب فى ميدان الحضارة . إن تجاربى السياسية قليلة ، ولكنى قمت ببعض المهام الصغيرة مع الحكومة السعودية . ولقد كنت أظن أن التفاهم معهم صعب عسير ولكنى سرعان ما غيرت هذا الظن إذ وجدت أننى أنا نفسى صرت أحسدهم . إذا صارحتهم — صارحوك . جرب دائماً أن تكون معاملاتك مع العرب مبنية على الشرف والأمانة . ويجب ألا يعزب عن بالنا أننا ورثنا عنهم النظرية التى تهمنا نحن الانكليز بنوع خاص وهى « إن لعب اللعبة أحسن من ربحها »

أسئلة بعد المحاضرة

سير رونالد ستروس — هل يتغنى البدو بالشعر الرمزى ؟ وهل هناك قصائد جديدة ؟

المحاضر — البدو يجهلون الشعر الرمزى ولكن القصائد تتلى فى كل خيمة ؟

سير برسى كوكس — ما الذى يمكن الانسان عمله إذا أراد بدوى معدم أن يذبح شاة لإطعام ضيف ؟

المحاضر — من الصعب معرفة ما يمكن عمله ، ولكنى أرى أنه يكون مضطراً إلى محاولة إقناعه بأن يتحول إلى فلاح (ضحك)

مستر ى رانكن — هل تجدون صعوبة فى حفظ النظام مع الجنود الأعراب من البدو

المحاضر — ليت الوقت يسمح لى ببحث هذا السؤال . ولكنى أقول إننا نجد صعوبات جمة فى بادئ الأمر

والنظام مع البدوى يختلف طبعاً عما هو عليه مع الفلاح . لأن البدوى ديمقراطى بطبعه، فالضابط والجنود يأكلون من صحن واحد ويشربون القهوة معاً . والبدوى يفخر بانتمائه إلى القوة التى توافق هواه . وإرهابه بأخذ سلاحه أو باخراجه من القوة يؤثر فيه أكثر من أى عقاب آخر . ولكن طلبهم المجد الشخصى يولد الحسد فيهم ويسبب بعض المتاعب

لورد ونترتون — أظن، سيداتى وسادتى ، أنه لم يبق لى إلا أن أشكر المحاضر بلسان كل فرد منا على محاضرته القيمة النفيسة وأحب أن أقول إن نظريته حول الارتباط بين العرب والانكليز توافق نظريتى تماماً . إذ أننى أرى أن هنالك مكانين يمكن الانسان أن يعيش بهما سعيداً وهما البادية وهذه البلاد . ولكن للأسف يوجد فرق واحد : أن البدوى إذا هوجم يستطيع التقهقر إلى صحرائه حيث لا مطمع لأحد هناك ، ولكننا إذا هوجمنا فقد يحتل العدو بلادنا . وفى هذا درس علينا أن نحفظه . هذه نظرية قد تشرح قول بعض الأوربيين عنا : إننا مجانين . ولماذا وكيف نصادق كثيراً من الشعوب الآسيوية

المترجم

جميل قبعين

١٣ ٥ ١١٠

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الأول

للأستاذ محمد كامل حجاج

... أيها الخيال الأخرس والطيف الملثم يامن هو أتبع لنا من ظلنا، يا من يدعونك الغد

إنما الغد حارت فيه الأفهام ، وضلت فى مفاوزه الظنون والأحلام . يبذر الانسان السبب فينضجه القادر غداً فيستحيل من عالم القدر إلى عالم الظهور والقوة . غداً برق محتجب ، ونجم مستتر فى السحب ، وخائن ينزع التاج ، ومنجنيق يدك الحصون والمعاقل، وكوكب ينتقل من منطقته، وباريس تتبع بابل . غداً تتوب العرش واليوم مخملة ! غداً ينتقل من يخوض المعامع مرغياً مزبداً . غداً أيها الفاتح تلتهب موسكو فى الليل الحالك كالمصباح فى يد المدلج . غداً تغطى جثث حرسك القديم السهول والبطاح ، غداً واترلو . غداً القديسة هيلانة . غداً الرمس !

فيكتور هوجو

عبد المعطى المسيرى

يقدم كتابه الثانى

الظامئــــون

صورة صادقة لساهمة أدبنا الحديث
فى عــلاج مشاكل الانســانية

مقدمة رائعة للأستاذ محمود تيمور بك

لوحات فنية من ريشتى الأستاذين بدر أمين وشـفيق رزق الله

يطلب الكتاب من مؤلفه بقهوة رمسيس بدمنهور
ومن مكتبة النهضة بمصر ، ومكتبة فيكتوريا بالاسكندرية
الثمن ٥ قروش صاغ

أنشـــــودة

« ليتها تعيها إلى الربيع القبل ! »

للأستاذ صالح جودت

كان ميعادُكِ في هذا الربيعْ   ثم أخلفتِ ، فكان الموتُ لى
ضاع عمرى في غرام لن يضيعْ   فاذكريه في الربيع المقبلِ

***

الربيعُ الآنَ؟ مالى لا أرى   بعد إخلافك ، ما كنتُ أراهْ؟
هاهو الروضُ ، أراه مُقفِرا   ما به من رونق ... إلا ثراهْ !
هاهى الدوحاتُ صفراء الذُّرى   تتلوّى بين أغصانٍ عُراهْ
هاهو الينبوعُ .. لكن.. ماجرى ؟
خبريني ياغرامى ، ماعـتراه ؟
أهُو اليومَ كما نعهدهُ ؟   ربما كان لغيرى ينجلى
أنا مَنْ قد فاته موعدُهُ   فاذكريه في الربيع المقبل

***

كانتِ الزرقةُ ثوباً للسماء   كانت الخضرةُ ثوباً للأديمْ
كان في الروض أزاهيرٌ وماء   كان في الدوح رجيعٌ ونسيمْ
كان في الدنيا غرامٌ ووفاء   كان في قلبك لى حُبٌّ مقيمْ
كل هـذا شِمتُهُ قبل المساء   كل هـذا ذقتُهُ قبل الجحيمْ
أهُوَ باقٍ مثلما كان لنا   في لذاذات اللقاء الأول ؟
إن يكن ما مات، فالميْتُ أنا   فاذكريني في الربيع المقبل

إلى «القصر» الغاشم ...!

« نفثة جريحة اهتز بها قلبي حيال قصر الملهمة ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَوْ كُنتَ تَسمعُ صَرْخَتى وشكاتى
يا «قصرُ» ! ما قيّدتَ سِحرَ حياتى..
حَجَّبْتَها عذراء كاد غرامُها   يُذكى سَعيرَ الحبِّ في الغُرُفاتِ
وَلَو انها مَلَكَتْ جَناح حمامةٍ   طارتْ لعابدها من الشُّرُفاتِ!
لمحتْهُ من خَلَل الستور مُشرَّداً   حيرانَ مُرتجفاً على الطرُقاتِ
في جَفنه صَخَبٌ ! وفى أنفاسه   لَهَبٌ ! وسِرُّ الموت في النظراتِ!
وعلى الشفاه قصيدةٌ غزليّةٌ   مخنوقةُ الألحان والنبراتِ
صرخت تُذيعُ غرامَهُ ... فأذابها
هَوْلُ الأسى في جاحم الزفراتِ
يَبكى ويَضرِبُ في الفضاء مُضيّعاً
كالتائه المأخوذ في الفلواتِ ...
قلبٌ على عتباتك انتحرتْ به   أحلامُهُ يومَ الفراق العاتى
وأتاكَ مُنتفضَ الحنين، كأنّهُ   ذِكرى مُجرَّحةٌ تَعودُ «فتاتى»
يا «قصرُ» أبلغهُ الصفاقَ... فعندها
أملى ، وصَفوُ مزاهرى ، وحياتى !

الدمية الحســـــناء !

للأستاذ أحمد فتحى

فيكَ من روعة الجمال نصيبُ   شاهـدٌ أن للدُّمَى إغراء !
وقديماً أضلّ قومٌ من الخلْـ   ـقِ ، فضلّوا ضلالةً عمياء !
عبدوا الوهمَ والأساطيرَ حتى   قدّسُوها حجارةً صمّاء !
وإذا شاءتِ المقاديرُ تلهو   سَخَّرتْ للجهالة الفهماء !
لستُ أنسى يومَ التقينا وكانت   صفحةُ الروض، فتنةً تتراءى
الأزاهيرُ رائحاتٌ غوادٍ   تتثنّى مع الصَّبا كيف شاءَ
والأمانىُّ باسماتٌ لعينَيْـ   ـنى يتضاحكْنَ غِبطةً وصفاء !
والأغاريدُ هاتفاتٌ على الدوْ   حِ نشيداً يُداعبُ الأفياء
ولقد كنتَ في الخميلة تمثا   لاً من الحسن رائعاً وضّاء
لاح لي من لحاظ عينَيْك سحرٌ   بابِلِيٌّ ، يستضعفُ الأقوياء
ودعانى هواكَ فانطلقَ القلـ   ـبُ على وجهه يُلبّى النداء

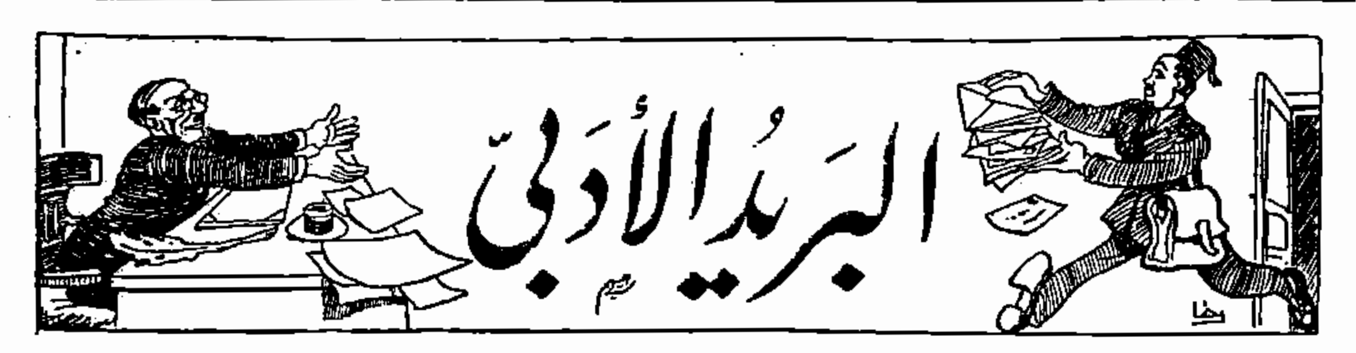
فَرَّ من بين أضلُعى يَنْشُدُ الْحُبْ ... بَ ، كما يَنْشُدُ الظِّماءُ رَوَاء
وأتاكَ المسكينُ حالاً من اللوْ ... عةِ تشكو فصيحةً خَرْسَاء !
ظَنَّ في صَمْتِكَ الرِّضى عن غرامٍ ... كان فيـه ، غِوايةً شَنْعَاء
عادَ لى ضاحكاً ، قريراً يغَنِّى ... يملا الأرض شَـدْوُهُ والسَّماء
فتوَهَّمتُ أنه رُزِقَ الخَيْـــرَ ، وأضحَى يُسَاجِلُ السُّعَدَاء
ثم باركتُهُ غراماً عزيزاً ... قد كفانى الهمومَ وَالْبُرَحَاء
ماسَلاَ القلبُ عنك إذ جَدَّ بينٌ ... صَيَّرَ الصُّبْحَ وَحْشَـةً ظَلْمَاء
شَفَّنِي الوَجْدُ والنحولُ وكابَدْ ... تُ غرامى داءً دَوِيًّا عَيَاء
وَعَفَا الصبرُ عن لِقَائِكَ حتى ... عَلَّمَ العينَ أن تذوبَ بُـكَاء
سلكَ الدَّمْعُ من مآقِيَّ سُبْلاً ... كُنَّ من مَسْلَكِ الدُّموعِ خَلاَء
زهِدَتْ نفسى الصواحبَ طُرًّا ... وَمَلَلْتُ الحيـاةَ وَالأحيـاء !
وَتَمَنَّيْتُ لو لقيتُـكَ يوماً ... وافتقـدتُ المعاشرَ الْخُلَصَاء
عَلِمَ اللهُ كم سَهِدْتُ الليالي ... أتشهَّى الرُّقَادَ والإغفـاء
يَقِظاً للخيالِ؛ إن طرقَ الطَّيْـــفُ رآنى بَقِيَّـةً وَذِمَاء !
ولقـــد طالما تعلَّلْتُ بالقُرْ ... بِ ، فكانت عُلاَلَةً حمقاء
كيف أنساكَ يومَ قيلَ مُوَافٍ ... يحملُ البُرْءَ قُرْبُهُ والشِّفَاء ؟!
قلتُ للنفسِ هاا نعَمِي بعد بُؤْسَى ... جَرَّعَتْكِ النَّوَى صباحَ مساء
والتقينا أشكو الذى صنعَ الشَّوْ ... قُ بقلبٍ تَنَفَّسَ الصُّـعَدَاء
وترامَتْ على يَدَيْكَ دُمُوعى.. ... قَطَرَاتٍ كبيرةً حمراء !
وتوسَّلْتُ أن تُنَهْنِهَ منهـا ... فإذا أنتَ لا تجيبُ الرَّجاء !
فتهاوَتْ مع المـدامعِ آما ... لٌ تُسَامِي صُرُوحُهَا الجوزاء !
وتناثَرْنَ ، فى الأعاصيرِ تَقْماً ... حَمَلَتْهُ ، قويَّةً ، هَوْجاء !!
عاتَبَتْ نَفْسىَ الحزينةُ قلبى ... فى هواكَ الذى أضرَّ وساء
هَتَفَتْ ، أيُّها المعذَّبُ بالخفْـــقِ ، تَجَشَّمْ هزيمةً نكراء
قد حَمَلْتَ الغرامَ زَيْفاً من الوهْـــمِ أضاعَ الشبابَ عُمْراً هَبَاء
خَدَعَتْكَ المنَى اللَّعُوبُ، وكانت ... قِصَّةُ الحبِّ ، كِذْبَةً بيضاء
شَغَفَتْكَ الحياةُ بالحسْنِ ، حُبًّا ... فتعشَّقْتَ دُمْيَةً حسناءَ !!

فرحـــة

للأديب محمد قطب

أحــلى الأمانى والمراح مراحُ حُب
قد فاض قلبي بالسعادة بعـد جدب
وطفرت كالمرح اللعوبِ وأى لِعْب !
عاد الشبابُ إليّ بعـد طويل شيب !
ياحب ليس سـواك فكَّ عِقال قلبي
أطلقتني حراً أشـارف كل صوب
لا مَنْ يعوق خطاى عن جَرْى ووثب
هى ذى مى ، وأنا أبوح بسر حُبى
ما أجمل الحب السعيد وأنتِ قربى
وجمال همس كالطيور أوانَ أوْب
همس الحيـاة تحيطنى من كل جنب
وتحيطنى وتحيط بالإعجاب حِبي
فرحانة هى[1] بالغرام يضيءُ قلبى
إنى أحبك ياسـعاد وأى حب !
حب تسـامى فوق كل هوى محب
حب يرفرف كالحنانِ المستحَب
حب فريد لن تريه بغير قلبى
إنى أتيه على الغرام « بِنَوعِ » حبي !
وأنا سعيد أنْ أحب وأن تحبى
سـترين إعجابى بمن أهوى وعجبى
وسترشفين خلاصـة من كل ذوب
ذوب الغرام وذوب تفكيرى وقلبى
ذوب الحيــاة ممحضاً من كل شوب
ذوب السعادة خالصاً من كل ريب
أعطيكِ ماقد شئت عذباً أى عذب

(١) أىَ الحياة



باريس ، أحمد حافظ عوض ، أبو تمام

الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك اليوم في باريس . وهو يبعث منها برسائل أحمدية : ذات بساط أحمدى ... وقد أخبر في الأولى التي عنوانها (ما بال باريس اليوم ليست باريس ؟) أنه يمم حاضرة الفرنسيس من قبل وهو في الثلاثين ويجيء إليها اليوم أخا ستين — أخو ستين يا أبا الحفاظ ، الله أدرى بالحقيقة — وأنه ما رآها وهو شيخ كما آنسها في الشباب في شبابه :

لا يبعدنْ عصرُ الشبا ب الناعم الغض الرطيب[1] !
كان الشباب حبيبنا كيف السبيل إلى الحبيب ؟!

ومما سطره : « فماذا جرى يا ترى ، أترى باريس تغيرت كما تغيرت ، أم كبرت كما كبرت ؟» ثم أفاض الأستاذ في المقال ثم قال في آخره : « فباريس ليست باريس لأنك أنت لست أنت » ولو تذكر صاحب (الكوكب) بعد هذا الكلام (حبيبًا) لأعطاه هذه الأبيات العبقريات فجاءت في الختام من آيات التمثيل الباهرات . وهأنذا أرسل بها إليه في (الرسالة) لينشدها الأستاذ في كل صبح ومساء ، ما أقام في باريس :

لا أنتَ أنتَ ، ولا الديار ديارُ خفَّ الهوى ، وتولت الأوطار !
كانت مجاورة (الطلوع) وأهلها زمنًا عذاب الورد ، فهى بحار !
أيامَ تدعى عينَه تلك الدُّمى فيها ، وتقمر لُبَّه الأقمار ![1]
إذ لا (صدوف) ولا (كنودُ) اسماهما كالمبنين ، ولا (نَوارُ) نوارُ ![2]
بيض فهن إذا رُمقن سوافرًا صور ، وهن إذا رَمقن صُوار ![3]
في حيث يُحتهن الحديثُ إلى الصِّبا وتحصّن الأسرار والأسرار ![4]

وصدر هذا البيت ، فحواه أن هناك (اللقاء والحديث) فقط والشطر الثاني ظاهر ، وأما ما ذهبت إلى باريس فلست أعرف حالها ، فهل يصدق (المعجز) فيها ؟ العلم عند الأحمدين العارفين : أحمد شوقي ، أحمد حافظ عوض ، أحمد حسن الزيات ، العلم عند العارفين ...

(القارئ)

---

(١) أبو قطينة القرشي ، والبيتان في حماسة البحترى ، وللمنصور النمرى :

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

يحكي أن الرشيد لما سمع هذا البيت بكى وقال : يا نمرى ، ما خير دنيا لا يخطر فيها برد الشباب ؟!

---

(١) في (الأساس) : قمرته لبه وقلبه . قال عمر بن أبي ربيعة :

قمرته فؤاده أخت رئم ذات دل خريدة معطار

(٢) أي لم تكن في ذاك الوقت الآنسة صدوف تصدف عنك (أي تعرض ، وامرأة صدوف : تصد عن الزينة كما في الأساس) ولا الآنسة كنود تكندك (أي تقطك أو كنود كفور بالنعمة ، أو كنود كفور للمودة كما في اللسان) ولا الآنسة نوار تنور (أي تنفر ونارت المرأة من الريبة نورا ونوار بالكسر ، وهي نوار ، وهن نور كما في الأساس)

(٣) الصوار الجماعة المعروفة المشهورة بالعيون النجل الجميلة ، والصوار النافجة : وعاء المسك قال :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفخ الصوار

(٤) الأسرار الثانية جمع السر ، ورجل سرى يصنع الأشياء سرًا . والأسرار الأولى جمع السر وهو معروف . وفي (الأساس) : قالت :

لا يعدن إلى سرى يعاب وإلى ما شاء مني فليعد

أعطيكِ حتى ترتوى حتى تمتى
أعطيكِ . لست بآخذ أبدًا . وحتى !
إلا الجمال فإنه هو وحى قلبي
هاتيه كيف أردت من دل وعجب
إني رضيت بما سآخذ دون غصب !
أفأنت راضية وحظك سوف يُربى ؟

تكريم الدكتور زكي مبارك

أقام الفنان الأديب الأستاذ مدحت عاصم وكيل محطة الاذاعة المصرية شاياً موسيقياً للترحيب بمقدم الدكتور زكي مبارك من العراق دعا إليه نخبة من رجال الأدب والعلم والتعليم والصحافة وعلى رأسهم الأستاذ الجليل محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف

وقد انتثر المدعوون في جوانب حديقة الدار يستمعون إلى نغمات الموسيقى ، ثم انتقلوا إلى موائد الشاي فتناولوا الحلوى والرطبات ، ثم وقف الأستاذ مدحت عاصم وألقى كلمة حيا بها الدكتور مبارك وشكر فيهـا المدعوين على تلبيتهم الدعوة ، وقال إنه ليس بعجيب أن يكرم الفنان أديباً ، فالفن والأدب توأمان لا ينفصلان ، والدكتور زكي مبارك أديب يقوم أسلوبه على قواعد موسيقية ...

وبعد ذلك وقف صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوي بك فارتجل كلمة رقيقة داعب فيهـا المحتفل به . وقال إنه لا يتكلم الآن باسم الوزير ، ولا باسم الوزارة . ولكنه يتكلم معبراً عن رأيه الشخصي . واستطرد فقال :

أعرف الدكتور مبارك رجلاً مشاغباً ؛ وكنت قرأت له حملات على الأدباء والشعراء ، فأرى فيه معولا يحتاج إليه البلد في هدم القديم على أن ينشيء مكانه جديداً نافعاً

ولما عرضت فكرة إيفاد معلمين إلى العراق قلت إنها فرصة طيبة للتخلص من شغب الدكتور زكي !

لم يكن الدكتور زكي مبارك قبل سفره ، قد عمل شيئاً في وزارة المعارف ، فلما سافر إلى العراق عمل هناك أشياء كثيرة . وخلال زيارتي للعراق تحدثت إلى وزير معارفه عن عيوب الدكتور زكي مبارك فقال الوزير — وهو من رجال الأدب المعدودين — إننا راضون بالدكتور على عيبه ! . . .

ثم وقف الدكتور مبارك فألقى كلمة بليغة سننشرها في العدد القادم

وفاة الأستاذ نللينو

نعت أخبار روما أستاذنا الجليـل الدكتور نللينو الأستاذ بالجامعة المصرية والعضو في مجمع اللغة العربية، وإمام المستشرقين في تاريخ الآداب العربية وأصول اللغـة الحيرية وأسرار الحضارة الاسلامية . اتصلت أسبابه بمصر زهاء ثلاثين سنة منذ اختاره المغفور له الملك فؤاد لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية القديمة يوم كان رئيسها وهو أمير فألقى الأستاذ بها أربعين محاضرة في الأصول المقررة في الأدب والنقد عند العرب فكانت الأساس الوطيد والنهج السديد لدراسة الأدب العربي في مصر . ثم انقطع ما بينه وبين مصر حينا من الدهر حتى انتدب مرة ثانية للتدريس في الجامعة المصرية الجـديدة وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية الملكي فنـذى الجامعة والمجمع بأبحاثه القيمة وآرائه السديدة وخبرته الطويلة. وقد بلغ من حبه للغة العرب أن حبب إلى ابنته دراسة الآداب العربية ، فهي اليوم من الفتيات الايطاليات اللاتي يعرفن الشرق العربي معرفة صحيحة ويكتبن عن أدبه كتابة المطلع الفاهم ؛ وقد أعانها على ذلك أنها زارت مصر معه مرارا ، فلا جرم أن فقد الدكتور نللينو خسارة للأدب العربي وللاستشراق لا يسهل العوض منها ، فان الرغبة في دراسة الشرق القديم قد ضعفت في نفوس الأوربيين بعد أن استبانت معالم الشرق واتضحت السبل إلى استعماره

كتاب رسالة المنبر

تفضل صديقنا الأستاذ فليكس فارس فأهدى إلى مشتركي الرسالة مائة نسخة من كتابه رسالة المنبر . ومتى تسلمتها إدارة الرسالة فسترسلها إلى من يطلبها على شرط أن يكون من مشتركي الرسالة وأن يرسل أربعة قروش نفقة الارسال

تنظيم دار العلوم

أصدر صاحب المعالي وزير المعارف قراراً باعتماد اللائحة الجديدة لتنظيم « دار العلوم » على منوال يكفل لها استقلالا شبيهاً بالاستقلال المكفول لكليات الجامعة ، ويجعل الدراسة فيها تجري طبقاً للمبادئ الجامعية من حيث المحاضرات والبحوث

وتقضي هذه اللائحة بانشاء قسم إعدادي مدة الدراسة فيه سنتان . ويلتحق به الطلبة الذين أتموا دراسة السنة الثالثة للمعاهد الدينية الثانوية على أن يكون ذلك بامتحان مسابقة بين المتقدمين مع اختبارهم شخصياً

وسيلحق هؤلاء الطلبة بالقسم الداخلي لتهيئة جو صالح لتكوينهم

وسيدرسون إلى جانب العلوم العربية والشرعية طائفة من مواد الثقافة المدنية وهي الرياضة ، وعلم الأحياء والعلوم ، وإحدى

اللغات الأجنبية، والتاريخ ، والجغرافيا . فاذا انتهت مدة السنتين انتقلوا إلى «دار العلوم» فيقضون فيها خمس سنوات بدلا من أربع على أن تخصص السنة الخامسة لدراسة علوم التربية وما يتصل بها

وقد نظمت هيئة التدريس على مثال هيئة التدريس بالجامعة تماماً

وقضت اللائحة بانشاء مجلس أساتذة له ما لمجالس الجامعة المصرية من اختصاصات

وكذلك أنشئ مجلس أعلى برياسة وكيل وزارة المعارف، وعضوية وكيل الوزارة المساعد ، وأقدم مراقبي التعليم العام ، وأحد أساتذة الأدب العربي بالجامعة ، وعضو من أعضاء المجمع الملكي للغة العربية ، وأستاذين من دار العلوم ، واثنين من خارج الوزارة والجامعة من المشتغلين بالأدب العربي، وقد منح هذا المجلس اختصاصات مماثلة لاختصاصات مجلس الجامعة ، وتعرض قراراته على وزير المعارف مباشرة ، وقد أطلق على ناظر الدار اسم « عميد دار العلوم » وأطلق على دبلومها اسم « اجازة دار العلوم » وستتخذ الوزارة الاجراءات لاذاعة نص اللائحة الجديدة وسيعمل بها ابتداء من العام الدراسي الجديد

كتاب حياة الرافعي

جاء في جريدة الأخبار البغدادية هذه الكلمة : جاءنا بتوقيع « أديب » ما يلي :

نظراً إلى أن الكثيرين من العراقيين يرغبون في اقتناء كتاب الرافعي تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان ، ولما كان ثمنه قبل الطبع مائة فلس في مصر فارجاء إلى الأستاذ صاحب مجلة (الرسالة) الغراء أن يوعز إلى وكيل المجلة ببغداد بقبول الاشتراك في هذا الكتاب بزيادة عشرين فلساً أجرة البريد ، وحبذا لو أجابت الرسالة الغراء هذا الطلب

(الرسالة) : والرسالة تجيب من رجاء الأديب بأن الاشتراك المخفض في هذا الكتاب يقبل من جميع أقطار العربية ولا يزيد على الاشتراك بمصر إلا أجرة البريد .



- انه افضل كريم لحلاقة الوجه . لأنه يرغي بمعدل ٣٠٠ مرة
- انه لا ينشف على الوجه بل تجعل الوجه طريًا ناعمًا للحلاقة
- ان فقاقيعه تجعل الشعر ينتصب فتمر عليه الموسى وتحلقه بسهولة
- انه هو الكريم الوحيد المركب من زيت الزيتون وزيت النخيل . لذلك يشعر الانسان بلذة بعد انتهاء الحلاقة



معلومات مدنيــــة

تأليف الأستاذ محمود العابدى

للسيد عبد اللطيف الصالح

مؤلف هذا الكتاب ناظر لإحدى المدارس الحكومية بفلسطين قد اتجه فى دراساته الخاصــة نحو التاريخ العام فغدا مؤرخاً معروفاً فى فلسطين يقدم للنشء والمكتبة العربية ثمار بحوثه وغرس ثقافته، والأستاذ العابدي بمؤلفه « معلومات مدنية » أسدى لا للنشء فحسب بل للمعلم أيضاً خدمة جليلة، وقد قسم مؤلفه إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول لتاريخ المجتمع الانسانى وتنظيماته من العصور الحجرية إلى نشوء نظام السوفيت فى روسيا ويدخل فيه تنظيمات اليونان والرومان والعرب والقرون الوسطى والحكومات الأوروبية الحديثة. كل ذلك بتفصيل كاف عن حركة العال فى العالم

والقسم الثانى منه جعله الأستاذ العابدي للمقابلة بين الحكومات فى انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وسويسرا والمستعمرات وجمعية الأمم ودوائرها، وألم بهذه المواضع إلماماً مناسباً بحيث يخرج القارئ من هذه الموضوعات ولديه فكرة تاريخية واضحة عن الاصطلاحات السياسية، فقد وفق ذلك . قال المؤلف فى مقدمة الكتاب « وفى كل يوم ترد الصحافة تعابير وكلمات كاجنة الانتدابات الدائمة ، ومجلس عصبة الأمم والحماية والانتداب وتقرير المصير والدستور والنقابات والسوفيت والبرلمان وحكومة الاتحاد والسكرتير العام والنائب العام، لا يعرف حقيقتها معرفة متوسطة . ومن النقص على شعب يعد نفسه للتقدم والنهوض أن تجهل أكثريته مثل هذه المعلومات الأساسية ، وهذا أول دافع دفعني لوضع هذا الكتاب » وفى هذا القسم بحث مستفيض عن أهم إدارات الحكومة النافعة للشعب كالتعليم والصحة والبوليس وواجبات الفرد وحقوقه

والقسم الثالث من هـذا الكتاب جعله الأستاذ العابدى لحكومة فلسطين فهو ضرورى لكل فلسطينى يريد أن يعرف كيف تدار بلاده، بل إن الاطلاع عليه ضرورة لكل عربى يؤمن بفكرة العروبة ولكل مسلم تهمه شئون الاسلام حتى يقف على حالة هذه البلاد التعسة التى هى الآن فى فورة دموية قد تجاهل صوتها قادة الرأى فى الأقطار الاسلامية ، واكتفى بعضهم بقوله : « إنا نعطف على عرب فلسطين ونتمنى لهم الخير » كأن مثل هذه الجملة كافية لردع الانجليز عن هذه الذبائح التى تغرق فيها بلاد هى مهبط الوحى الأمين ومهد الرسالة الربانية . نعم تناول المؤلف فى هذا القسم حكومة فلسطين بحيث يخرج منه القارئ وعنده فكرة صادقة عن كيفية الادارة فى هذا الشعب الدافع .

ولقد ظهر لي أثر مجلة « الرسالة » الغراء واضحاً فى هذا الكتاب فأستطيع أن أعده من ثمار غرس هذه المجلة العربية التى عم تناولها أبناء العروبة وانتشرت بين أبناء الضاد انتشاراً لا يدانيها فى ذلك مجلة أخرى ، ولقد أحسن المؤلف فى اقتباسه عن أساتذة هم أعلام ثقافات وعلوم كالأساتذة أحمد أمين، وحافظ عفيفى باشا وساطع الحصري وأحمد سامح الخالدى وغيرهم، حتى جاء مؤلفه عصارة مركزة لأبحاثهم المتعلقة بموضوع كتابه

والذى يطالع كتاب « معلومات مدنية » يرى أنه يغلب على أسلوب الأستاذ العابدى الدقة فى التعبير مع وضوح وإبانة للغرض الذى يريده ، وقد يقرأ القارئ فيه صفحة واحدة فيخرج منها بعلم قد لا تستوعبه صفحات كبيرة، وهذا آت من تمكن الأستاذ العابدى من مادة التاريخ ومن سعة اطلاعه فى نواحيها المختلفة .

ولا شك أن اتجاه المؤلف نحو الناحية التاريخية فى دراساته كان له أثر كبير فى قيمة هذا المؤلف فهو دائرة معارف نافعة تغنى به المكتبة العربية كما تغنى بغيره من مؤلفات عربية ثقافية أو اجتماعية

عبد اللطيف الصالح

مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور ولتر هولز رتشر
للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

نشرت جامعة بيروت الأميركية هذا الكتاب القيم لمؤلفه الدكتور ولترهولز رتشر أستاذ العلوم السياسية في تلك الجامعة ولاشك أن هذا الكتاب مما يهم العالم العربي الاطلاع عليه، لأنه يبسط قضية سياسية هي قضية العالم العربي بأسره، فقد تكلم فيه مؤلفه الفاضل عن مقاييس الكفاءة للاستقلال في العراق وفي جزر الفليبين وفي الهند، ثم تكلم عن مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة، ومقاييس الدخول في عصبة الأمم، ثم ختم البحث بخاتمة حافلة بالاستنتاجات والمقارنات، جمع فيها أطراف الموضوع جمعاً يحصره في ذهن القارئ، ويقربه من نفسه وإدراكه

ولقد قدم المؤلف كتابه بمقدمة ضافية، أشار فيها إلى مقاييس الكفاءة للاستقلال كما كانت معتبرة في الماضي، ثم تكلم عن المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم فقال بأنها لم تشر بتاتاً إلى المقاييس أو إلى الطرق التي يمكن أن تقدر بها كفاءة الأمم للاستقلال بشؤونها ثم خلص من ذلك إلى توضيح النهج الذي انتهجه

ولقد جرى المؤلف في حدود المعالم التي رسمها لنفسه فأجاد وأفاد، وأحسن كثيراً في اختيار الأدلة التاريخية المتعلقة بالمقاييس الضرورية لاثبات الكفاءة للاستقلال، كما أحسن في اقتباس الشواهد من التقريرات التي وضعتها اللجان التي قامت بعد الحرب للبحث في حالة الامم التي هي تحت الانتداب أو التي تطمع في الانتظام في عصبة الأمم.

أما المقاييس التي لاقت القبول العام، والتي يمكن اعتبارها مقاييس صحيحة لكفاءة الاستقلال في نظر المؤلف فهي ترجع أولاً إلى وجود حكومة مستقرة يبرهن على استقرارها بمقدرتها على تسيير الشؤون الجوهرية في الحكومة بصورة منظمة، وأن تكون قادرة على المحافظة على سلامة أراضيها وعلى الأمن العام في البلاد كلها، وأن تكون لديها موارد مالية تسد حاجاتها الاعتيادية، كما يجب أن تكون لها القوانين والأنظمة القضائية التي تضمن العدل المطرد للجميع، ثم لا بد من رأي عام متحد يؤيد طلب الاستقلال.

ثانيا النية الصريحة على إتمام المسؤوليات والواجبات التي تفرضها العضوية في عصبة الأمم، وهذه الواجبات تشمل صيانة الأقليات العنصرية واللغوية والدينية، وحماية مصالح الأجانب القضائية والمدنية والجنائية، ومنح حرية الضمير والعبادة وممارسة الأعمال ضمن نطاق المحافظة على الأمن العام والاخلاق والادارة ثم القيام بالعهود المالية المقطوعة باسمها ولنفسها بواسطة الدولة المنتدبة سابقاً واحترام كل نوع من الحقوق المكتسبة شرعياً في ظل الانتداب

هذه هي المقاييس التي ارتضاها المؤلف والتي يجدها القارئ في كتابه مشروحة شرحاً وافياً في أسلوب سهل مرسل قد يقع فيه بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، ولكنها لا تنقص من قيمة الكتاب.

محمد فهمي عبد اللطيف

الفخر الرازي

أعظم تفسير للقرآن الكريم يفتش عن العلوم والمعارف التي احتواها القرآن الكريم ويرد على الأقوال والمذاهب الباطلة بايضاح. مطبوع على ورق صقيل ومشكل بالشكل الكامل تبلغ أجزاؤه ٣٠ جزءا تم منها ١٢ أجزاء ويصدر تباعاً كل شهر جزءان ثمن الجزء ٦٥ مليما خلاف البريد يطلب من ملتزم طبعه عبد الرحمن محمد بميدان الأزهر بمصر اطلب الأجزاء تلفونياً ٥٦٧٠٧ تصلك حالاً. تم طبع البخاري بشرح الكرماني في ٢٥ جزءا على نمط الفخر الرازي ويصدره